

القبائل العربية في بلاد الشام في القرن (الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)

د. مسعد محمد عبد الله أحمد*

مقدمة

ترصد تلك الدراسة توزيع القبائل العربية في بلاد الشام ودورها السياسي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ولاشك أن العديد من القبائل العربية هاجرت من شبه الجزيرة العربية ونزلت و استقرت في بلاد الشام تحركها مجموعة من الدوافع السياسية و العسكرية و الاقتصادية و الاجتماعية و وجدت فيها ظروفاً ملائمة ومناسبة للإقامة، وبدأت هذه القبائل تؤدي دورها السياسي علي مسرح الأحداث التاريخية، وتتجسد أهمية هذا الموضوع في:

- أن القبائل العربية سواء من عرب الشمال أو الجنوب بدأت في الاستقرار في بلاد الشام مع بواكير حركة الفتوحات الإسلامية علي عهد الخلفاء الراشدين، وانتشرت في شتي بقاع ومدن بلاد الشام وكان لها دور في أحداث تلك المنطقة.

- أن بلاد الشام بحكم موقعها الاستراتيجي شهدت أحداثاً سياسية استطاعت القبائل العربية من خلالها أن تكون لنفسها إمارات مستقلة، وتشارك في الصراع الذي نشأ بين الفاطميين و العباسيين و السلاجقة من أجل السيطرة علي بلاد الشام.

- حاولت القبائل العربية الاستفادة من كل أطراف القوي المتنافسة علي بلاد الشام لتكوين كيانات سياسية مستقلة تعبر من خلالها عن شخصيتها العربية.

وهناك مجموعة من الأسباب دفعتني لدراسة هذا الموضوع لعل من أهمها:

- توضيح التوزيع الجغرافي للقبائل العربية في بلاد الشام وتحديد مواطن كل قبيلة وبطن وفخذ سواء كانت هذه القبائل استقرت في جنوب ووسط وشمال بلاد الشام.

*مدرس التاريخ الإسلامي - كلية الآداب و العلوم الإنسانية - جامعة قناة السويس

- إظهار الوزن السياسي للقبائل العربية في بلاد الشام، وكيفية تفاعل هذه القبائل مع المتغيرات العسكرية التي طرأت علي بلاد الشام خاصة في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

- عدم وجود دراسة متكاملة في المكتبة التاريخية عن توزيع القبائل العربية في بلاد الشام ودورها السياسي في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وأن وجدت بعض الدراسات فهي جزئية و تتناول الفترة التي كانت فيها بلاد الشام مجالاً للصراع بين المسلمين و الصليبيين.

- إبراز الأثر العسكري و السياسي للقبائل العربية في بلاد الشام ومحاولتها العديدة للتعبير عن شخصيتها المستقلة و الأساليب التي اتبعتها القبائل العربية في بلورة فكرها السياسي خلال فترة الدراسة.

- واتبعت في صياغة ذلك البحث المنهج العلمي القائم علي البحث والتحليل و المقارنة بين المصادر التاريخية للوصول إلي الحقيقة التاريخية قدر الإمكان مع الاعتماد أولاً علي المصادر التاريخية القريبة من الأحداث، بجانب المراجع العربية التي تخدم الدراسة

وتم تقسيم البحث إلي:

المقدمة - تناولت فيها التعريف بالموضوع، و أهميته، وأسباب اختياره، و المنهج المستخدم

ثم محاور البحث التي تم تقسيمها إلي:

- التعريف بجغرافية بلاد الشام و أثرها علي توزيع القبائل العربية.

- توزيع القبائل العربية في جنوب ووسط وشمال بلاد الشام.

- الأوضاع السياسية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

- موقف القبائل العربية و دورها السياسي في بلاد الشام حتى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

- ثم خاتمة - ذكرت فيها النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

- وقائمة بالمصادر و المراجع العربية و الأجنبية التي اعتمدت عليها في صياغة البحث.

جغرافية بلاد الشام و أثارها علي توزيع القبائل العربية

تعد بلاد الشام ^(١) امتداداً طبيعياً لشبه الجزيرة العربية إذ تقع في أقصى شمالها، و يختلف حول تحديد حدود و امتداد إقليم بلاد الشام، فيذكر بعض الجغرافيين ^(٢) أنه يمتد من الفرات إلي رفح ^(٣) بينما يدخل البعض بلدة الفرما المعروفة منذ القدم باسم (بيلوزيوم) ضمن حدود بلاد الشام ^(٤). بينما يتوسع البعض في امتداد حدود إقليم بلاد الشام و يدخل فيه الشرقية بأرض مصر، و أن مدينة بلبيس هي آخر تخوم الشام و أول مصر.

والمتفق عليه حول تحديد حدود بلاد الشام هو أن مدينة رفح هي الحد الفاصل بين الشام و مصر. وفيما يتعلق بالظواهر التضاريسية لإقليم بلاد الشام نجد أنها أثرت تأثيراً مباشراً علي توزيع القبائل العربية الوافدة إليه، فأبرز الظواهر الطبيعية لسطح إقليم بلاد الشام الجبال حيث وجدت فيه قمماً جبلية كثيرة، منها جبل اللكام الذي يقطع بلاد الشام طولياً ممتداً بأطرافه إلي البحر الأحمر و مصر. و تختلف أسماء هذا الجبل في بقاع الشام المختلفة. ففي الشمال يسمى اللكام حتى يتجاوز مدينة اللاذقية ^(٥)، يسمى جبل بهراء وتتوخ حتى مدينة حمص ^(٦).

١- الشام أو الشام، يسكون الهمزة أو فتحها، و تلفظ كذلك بغير همزة، و حول سبب تلك التسمية ذكرت آراء كثيرة فقول لكثرة قراها و تقارب بعضها من بعض، فشبّهت بالشامات، و قد تكون أيضاً لوجود شامات في أرض الشام كالأبيض و الأسود والأحمر، أي أن بها أراضي و نبات بحسب الألوان، و قيل أيضاً هو فعل من اليد الشمي وهي اليسرى، أو لأنها علي شمال البيت الحرام، و حدود بلاد الشام من الغرب البحر المتوسط، و من الشرق البادية من العقبة إلي الفرات، و من الجنوب المنطقة الواقعة بين رفح أو العريش، و من الشمال بلاد الروم. راجع: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٩م، ص ١٥٢؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج ٣، ص ٣١١ - ٣١٢؛ الأنصاري: نخبة الدهر في عجائب البر و البحر، بغداد، د.ت، ص ١٩٢؛ ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

٢- ابن حوقل: صورة الأرض، ط٢، لندن، ١٩٣٨م، ق ١، ص ١٦٥؛ ناصر خسرو: سفرنامه، ترجمة: يحيى الخشاب، ط١، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ١٩٤٥م، ص ١٠.

٣- رفح: يفتح الراء و الفاء و جاء ساكنة بلدة قديمة علي ساحل البحر المتوسط، كانت تعد في أكثر العصور الحد الفاصل بين بلاد الشام و مصر. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٥٥.

٤- الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن عبد الله النجدي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ١٣٠ - ١٣١؛ ابن ممتي: قوانين الدواوين، جمعة و حققه: عزيز سوريال عطية، ط١، مطبعة مديبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص ٧٠، ٨٥.

٥- يطلق اسم اللاذقية علي أكثر من مدينة يوجد بعضها في قارة آسيا و العدد الأكبر منها في آسيا الصغرى، و المقصود هنا لاذقية سوريا، و هي مدينة علي الساحل الشرقي للبحر المتوسط جنوب ليطاقية، تعد من أرحب موالي الشام. راجع البكري: معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٣م، مجلد ٢، ج ٤، ص ١١٤٧؛ الأنصاري: الدمشقي: نخبة الدهر، ص ٢٠٩؛ كميل عزيز سليمان: اللاذقية و دورها السياسي في الصراع الصليبي الإسلامي (١٠٩٥ - ١٢٩١م) /

٤٨٨ - ٦٩٠ هـ)، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٩٥م، ص ٤٥ - ٤٩.

٦- تقع مدينة حمص بين مدينتي حلب و دمشق، يحدها من الشمال مدينة حماه و من الجنوب مدينة دمشق،

أما من ناحية الشرق فهي تطل علي بادية الشام. راجع: ناصر خسرو: سفر نامه، ص ١١؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٢.

وعندما يتجاوز حمص يسمي جبل لبنان الذي ينقسم إلي سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية، بينهما وادي البقاع^(١). وعندما يمر جبل اللكام بمدينة دمشق يسمي جبل سنير، ويسمي جانبه المطل علي دمشق جبل قاسيون^(٢) وعلي هذا فسلال جبال الشام تتجه في اتجاه عام من الشمال إلي الجنوب، أي إنها تمتد محاذية للساحل الشرقي للبحر المتوسط بدءاً من مرتفعات طوروس في الشمال حتى خليج العقبة في الجنوب^(٣).

ثم تأتي الهضاب كملح آخر من الملامح التضاريسية التي توجد علي سطح بلاد الشام فمنها في سوريا هضبة حوران^(٤)، كذلك تمتد الهضاب في كل من الأردن وفلسطين وتنحدر مرتفعات شرق الأردن^(٥) من جنوب نهر اليرموك شمالاً حتى خليج العقبة جنوباً، بمساحة واحد وتسعين ألف كيلو متر. وهذه الهضاب تمتد من الشمال إلي الجنوب كالتالي: هضبة عجلون^(٦)، البلقاء^(٧)، و مؤاب^(٨).

١- محمد خميس الزوكة: جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦م، ص ٩٧-٩٨.

٢- ابن عساکر: تاريخ دمشق الكبير، تحقيق: روية النحاس، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، مجلد ١، ج ١، ص ٢٩٩-٣٠٠؛ ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٥.

٣- محمد خميس الزوكة: جغرافية العالم العربي، ط٢، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢م، ص ٧٤-٧٥.

٤- تقع هضبة حوران في الركن الجنوبي لسوريا، وتمتد حوالي مائة كيلو متر من الشمال إلي الجنوب، وخمسة و سبعين كيلو متر من الشرق إلي الغرب، ويحدها من الشمال هضبة اللجا و سهل دمشق، ومن الجنوب نهر اليرموك أحد روافد نهر الأردن، ومن الشرق جبل حوران، ومن الغرب هضبة الجولان، وتشتهر بخصوبة تربتها ووفرة إنتاجها من القمح لذا أسكنها القبائل العربية. راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣١٧؛ فيليب حتي: تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين، ترجمة: كمال البازجي، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٤٥.

٥ - يمتد شرق الأردن من نهر اليرموك شمالا إلي معان و خليج العقبة جنوبا، ومن واحات الأترق، وبيرو والجفر شرقا إلي نهر الأردن و البحر الميت و وادي عربة غرباً.

راجع: وليم الصوري: ذيل تاريخ وليم الصوري: ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٨٠ - ٨١؛ فيليب حتي: تاريخ سوريا، ج ١، ص ٤٦ - ٤٧.

٦- هضبة عجلون: يحدها من الشمال نهر اليرموك، ومن الجنوب نهر الزرقاء، و متوسط ارتفاعها يتراوح بين ٨٠٠ - ١٠٠٠ متر، وتكثر بها الغابات، ومن أشهر مدنها مدينة عجلون وهي تقع علي سطح جبل عوف غربي هضبة حوران إلي الشرق من مجري نهر الأردن.

راجع: الأنصاري: نخبة الدهر، ص ٢٠٠؛ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية الإسلامية، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م، ص ١٢. ٧- تقع هضبة البلقاء إلي الجنوب من هضبة عجلون، ويحدها من الشمال نهر الزرقاء ومن الجنوب نهر حسلان، ويتراوح ارتفاعها بين ٧٠٠ - ٩٠٠ متر، وأعلى قممها جبل بوشع ١٠٩٧ متر.

راجع: مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار رواد النهضة للطباعة والنشر و التوزيع، بيروت، د. ت، ج ١، ص ١٨٤.

٨- هضبة مؤاب: تمتد جنوبي هضبة البلقاء من نهر حسلان شمالا حتى وادي نهر الموجب (أرنون) جنوبا، وتشرف هضبة مؤاب باتجاه شديد علي البحر الميت غربا. و تنضعب منها أودية نحو البحر الميت من أشهرها زرقاء ماء عين، وتشتهر الهضبة بزراعة اللوز و الأظب. راجع: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٨؛ محمد خميس الزوكة: جغرافية العالم الإسلامي، ص ٩٥.

و الكرك (١) وهضبة الشراة (٢).

كذلك توجد مجموعة من الهضاب علي سطح فلسطين ترتبها من الشمال إلي الجنوب وهي هضبة الجليل ويعد جبل الكرمل أعلي قممها، وهضبة السامرية (هضبة فلسطين الوسطي)، وهضبة الخليل و هي مستوية بشكل عام تتخللها بعض القمم الجبلية، والأودية المتقاطعة، و تشكل جبال الخليل أعلي قمم فلسطين (٣)، كما تشتمل تضاريس بلاد الشام علي مجموعة من السهول تنقسم إلي سهول ساحلية، و سهول فيضية، أما عن السهول الساحلية بالشام فهي بالإجمال ضيقة محدودة لإحصارها بين البحر المتوسط و الجبال الغربية (٤) و تبدأ السهول الساحلية في الشمال بسهل الإسكندرونة، ثم سهول اللاذقية و جبلة (٥) وبانياس الساحلية (٦)، وسهول لبنان، لاسيما بين طرابلس (٧) و بيروت (٨) ثم سهل عكا (٩)، وتنتهي جنوبا بسهل فلسطين العظيم، وتمتاز السهول الساحلية بخصوبة تربتها ووفرة أمطارها، لذلك فهي صالحة لزراعات متنوعة (١٠).

١. هضبة الكرك: تمتد جنوبي هضبة مزاب من نهر الموجب شمالاً إلى وادي الحسا جنوباً، ويحدها من الشرق الحجاز ومن الغرب البحر الميت ووادي عربة، ويبلغ متوسط ارتفاعها من ٧٠٠ - ٩٠٠ متر، وتشتهر بخصوبة تربتها وزراعة الحبوب والخضروات كثرة مراعيها راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٥٣.
٢. هضبة الشراة: يحدها من الشمال وادي الحسا ومن الجنوب خليج العقبة، وتعد أعلى هضاب منطقة شرق الأردن، فيصل متوسط ارتفاعها ألف متر، وتشتهر بخصوبة التربة ووفرة المراعي راجع: ابن حوقل: صورة الأرض، ق ١، ص ١٧٣.
٣. علي أحمد السيد: الخليل و الحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨ م، ص ٦٥.
٤. فيليب حتي: تاريخ سوريا و لبنان و فلسطين، ج ١، ص ٣١؛ تجدد خمائش: الشام في صدر الإسلام من الفتح العربي حتى سقوط خلافة بني أمية دراسة للأوضاع الاجتماعية الإدارية، ط ١، دار طلائع، دمشق، ١٩٨٧ م، ص ٤١.
٥. جبلة: تقع علي ساحل البحر المتوسط يحدها من الشمال اللاذقية ومن الجنوب بانياس. راجع: أبو الفدا: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠ م، ص ٢٥٤ - ٢٥٥؛ سهير محمد نعيم: جبلة و دورها في الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة دكتوراة لم تشر بعد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢ م، ص ٤١ - ٤٣.
٦. بانياس: مدينة تقع علي ساحل البحر المتوسط وتقع بين مدينتي جبلة جنوباً و طرطوس شمالاً راجع: الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر، ص ٢٠٩؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.
٧. طرابلس: من أشهر مدن الشام الساحلية، تقع علي طرف داخل البحر المتوسط، ويحدها البحر من ثلاث جهات، وشمالها المرقب و جنوبها جبيل.

- راجع: القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الأنشا، مطبعة الأمورية، القاهرة، ١٩١٣ م، ج ٤، ص ١٤٢؛ بور شارد: وصف الأراضي المقدسة، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي دار الشروق، عمان، ١٩٩٥ م، ص ٥١؛ السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠١ م، ص ١٠ وما بعدها.
٨. بيروت: مدينة من مدن الشام الساحلية و هي علي شكل رأس بارز ممتد داخل البحر المتوسط يحدها من الشمال جبيل ومن الجنوب صيدا. راجع: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٦٠؛ محمد عبد الحميد فرحات: بيروت و دورها في الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة دكتوراة لم تشر بعد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٣ م، ص ٧٠ - ٧٣.
٩. عكا: حصن يقع في وسط جبال لبنان في واد تحيط به الجبال إلي الشمال الشرقي من طرابلس. راجع: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٤، ص ١٤٤؛ فولفغانغ مولر - فينر: القلاع أيام الحروب الصليبية، ترجمة: محمد وليد الجلال، ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤ م، ص ٦٠.
١٠. سليمان عبد الله الخرايشة: نيابة طرابلس في العصر المملوكي، عمان، ١٩٩٣ م، ص ١٩.

أما السهول الفيضية، فأهمها في بلاد الشام سهل العمق الذي يبدأ عند المنعطف الغربي لنهر العاصي في سهل متسع، ويسمى هذا السهل بالبقاع عندما يقع بين سلسلتي جبال لبنان الشرقية والغربية، ويمتد جنوباً في وادي الأردن حتى البحر الميت^(١) ويمتد حتى يقترب من رأس خليج العقبة فيما يعرف بوادي عربية^(٢)، ويجري في هذا السهل نهرا الشام الكبيران، نهر العاصي أو المقلوب^(٣)، لأنه يجري من الجنوب إلى الشمال، ونهر الليطاني^(٤).

ولما كانت رواسب الطمي والغرين تكسو هذه الأراضي، فإنها تشكل أنسب تربة للزراعة في بلاد الشام، وتكثر ببلاد الشام السهول الداخلية الفيضية الصالحة للزراعة ومن أشهرها سهل غوطة دمشق^(٥)، وسهل حمص، وسهول حلب.

وفيما يتعلق بصحراء بلاد الشام، فنجدتها تشغل مساحة كبيرة من السطح، ومن أشهرها صحراء بادية الشام وتعرف أيضاً باسم السماوة^(٦). وتشكل صحراء الشام مثلثاً ترتكز قاعدته على خليج العقبة في الغرب و عند رأس الخليج العربي في الشرق، في حين تصل قمته منطقة حلب في الشمال^(٧). وتتخلل هذه المناطق الصحراوية مجموعة من المراكز، وتعد نقاط عبور للقوافل والرحلات الصحراوية بين الشام و جزيرة العرب والعراق ومصر.

١. البحر الميت: مسطح مائي مستطيل الشكل يصل طوله إلى ستة وسبعين كيلومتر، ومتوسط عرضه نحو اثني عشر كيلومتر، وهو منخفض عن مستوي سطح البحر، وترتفع فيه نسبة الملوحة، لذا فهو خال من الكائنات الحية، وأطلق عليه أسماء مثل البحيرة المنتنة أو البحيرة المقلوبة أو بحيرة سدوم أو بحيرة لوط. راجع: المقدسي: لخصن التقاسيم، ص ١٧٤؛ يوحنا فورزبورغ: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البشايوي، ط١، دار الشروق، عمان، ١٩٩٧ م، ص ٩٩.
٢. وادي عربية: يبلغ عرضه ما بين عشر وثلاثة عشر كيلومتر، وطوله مائة وتسعين كيلو متر تقريباً وأطلق عليه المسلمون اسم غور الصافي. راجع: فؤاد حامي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠١؛ ابن شداد: الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩١ م، ج ١، ق ٢، ص ٣٥٤.
٣. ينبع نهر الليطاني من هضبة بعلبك، ويمتد من الشمال إلى الجنوب في مجرى قليل المنعطفات ثم يتجه غرباً ليصب في البحر المتوسط عند بلدة القاسمية شمال مدينة صور، ويبلغ طول هذا النهر حوالي مائة وسبعين كيلو متراً، ويمد الأراضي الزراعية الواقعة في سهل البقاع الجنوبي بمانه. راجع: حسن سيد أحمد أبو العنين: دراسات في جغرافية لبنان، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٨ م، ص ٢٢٠ - ٢٢٢.

٥. غوطة دمشق: الغوطة في اللغة من الغائط أي المعطن من الأرض، وجمعة غوط و غوطات، وهي الكورة التي منها دمشق. راجع: ابن منظور: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، الإسكندرية، د.ت، مجلد ٥، ص ٣٣١٦ - ٣٣١٧؛ ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ١، ص ١٣.

٦. السماوة: سميت بذلك لأنها أرض مستوية لا حجر فيها راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٤٥.

٧. ابن العديم: بقية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت، مجلد ١، ص ٥١ وما بعدها؛ عبد الفتاح رواس قلعي: حلب القديمة والحديثة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩ م، ص ٨٧.

كذلك تحتوي تضاريس بلاد الشام علي عدد كبير من الأغوار^(١). أبرزها غور الأردن و أشهر مدنه طبرية^(٢) و بيسان^(٣)، ويقع بين منطقتي غربي الأردن الجبلية الغنية بالمياه، ومنطقة شرقي الأردن الجبلية القاحلة شديدة الجفاف قاسية المناخ^(٤)، وفي جنوبه يقع البحر الميت، كما يوجد غور الصافي^(٥) الذي يقع جنوب البحر الميت وهو امتداد لمنخفض ذلك البحر، ومن أشهر مدنه زغر^(٦). وقد تم فتح بلاد الشام من جانب الجيوش العربية الإسلامية في الفترة الممتدة من سنة ١٣ - ١٧ هـ / ٦٣٤ - ٦٣٨ م^(٧). وغدت ضمن أملاك الدولة العربية الإسلامية لذا تم تقسيمها إدارياً إلى خمسة أقسام عرفت باسم الأجناد^(٨)، وهي من الجنوب إلى الشمال، جند فلسطين، الذي يعد أركي بلاد الشام ربوعاً، وأشهر مدنها الرملة^(٩) التي ذاع صيتها عن بيت المقدس رغم مكانته الدينية فأصبحت الرملة حاضرة جند فلسطين^(١٠) ومن أشهر مدن فلسطين مدينتا الخليل^(١١)

١. الأغوار: مفردا غور وهو المنخفض من الأرض بين جبلين. راجع: ابن منظور: لسان العرب، مجلد ٥، ص ٣٣١٢ - ٣٣١٣؛ الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر، ص ٢٠١.
٢. طبرية: تقع شمال شرق فلسطين و تطل علي بحيرة طبرية من جهة الغرب، وتبعد عن مدينة عكا بنحو سبعة وخمسين كيلو متر مربع. راجع: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٦١؛ علي أحمد السيد: إمارة الجليل، ص ٥٨ - ٥٩.
٣. تقع بيسان : علي بعد ثلاثين كيلو متر جنوبي بحيرة طبرية إلى الجنوب الشرقي من مرج بن عامر عند التقاء نهر جالوت بنهر الأردن ، وعلي بعد نحو ستة كيلو مترات من ضفة نهر الأردن الغربية ، و تتميز بخصوبة تربتها . راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٧؛ العمري: ممالك الأبطال في ممالك الأمصار، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، دت، ص ١٨٨.
٤. ابن حوقل: صورة الأرض، ق ١، ص ١٧٢.
٥. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٥٣ - ١٧٨؛ الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر، ص ٢٠١.
٦. زغر: يضم الزاي وفتح الغين وراء مهمله بلدة تقع بمشارك الشام في طرف البحر الميت، و تتميز بارتفاع درجة حرارته وكثرة خيراتها، مشهورة بالتجارة و إنتاج البلح، ويطلق عليها الآن صغر. راجع: القزويني: آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، دت، ص ٩٣.
٧. البلازري: فتوح البلدان، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، عمر أحمد عطوة، دار ابن خلدون، الإسكندرية، دت، ص ١٩٢.
٨. الأجناد: مفردا جند، والجند مجموعة من الكور، والأجناد مناطق إدارية و عسكرية و مالية تضم الجنود المقيمين في كل إقليم، ويكلل خراج الإقليم أرزاق جنوده، وكانت بلاد الشام أول ناحية قسمت إلى أجناد. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ١٠٣؛ فلوق عمر، محسن محمد: الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، ١٩٩٩م، ص ٥٢.
٩. الرملة: تأسست في عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك وهي تبعد عن القدس من الشمال الغربي بنحو ستة و ثلاثون كيلو متر و إلى الجنوب الغربي من مدينة اللد بمقدار أربعة كيلو متر. راجع: البلازري: فتوح البلدان، ص ١٦٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٦٩.
١٠. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٢.
١١. الخليل: من أقدم مدن العالم، عرفها المسلمون باسم حبرون، و يوجد بها قبور أنبياء الله إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام وزوجاتهم، وهي تقع علي بعد ثلاثة وثلاثين كيلومتر إلى الجنوب من بيت المقدس. راجع: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٧٢؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٤١.

ونابلس^(١). ثم يأتي جند الأردن، ومن أعظم مدنه طبرية الواقعة علي بحيرة طبرية ذات المياه العذبة التي يعتمد عليها سكانه^(٢) أما جند دمشق، فمن أشهر مدنه مدينة دمشق التي تحيط بها الأراضي السهلية و سلسلة جبال ويشق المدينة نهر بردي^(٣). ثم يأتي جند حمص، و أعظم مدنه حمص ذات الأراضي الخصبة المحفوفة بالمياه والأشجار ويصل إليها الماء عن طريق نهر العاصي الذي يبعد عنها بمقدار اثنين كيلومتر^(٤) وآخر هذه الأجناد جند قنسرين^(٥) وهو أوسع الأقسام الإدارية وأكثره مدناً ومن أشهرها مدينة حلب ذات الصيت، وفيرة الخيرات، لطيفة المناخ^(٦).

بجانب ذلك التقسيم الإداري لبلاد الشام وجدت منطقة العواصم^(٧) وهي تمثل الثغور الشامية ومن أعظم مدنها مدينة إبطاكية^(٨) واستمر هذا التقسيم الإداري قائماً في بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

ولا شك أن جغرافية بلاد الشام أثرت علي توزيع القبائل العربية، فوجد معظمها فضل سكني الصحاري لأنها تتلاءم مع طبائعهم، فتجولوا فيها بحثاً عن المراعي لماشيئهم و إبلهم عقب سقوط الأمطار، كما عمل بعض سكان العرب في الصحراء بمهنة التجارة مع سكان الحضر المقيمين علي جانبي الصحراء^(٩).

١. تقع مدينة نابلس في وسط فلسطين بحددها من الشمال مدينة جنين، ومن الجنوب بيت المقدس و شرقاً نهر الأردن، وغرباً قيسارية وأرسوف. راجع: ياقوت الحموي معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٨ - ٢٤٩؛ سعيد عبد الله البيشاوي: نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية، عمان ١٩٩١م، ص ٣٥ - ٣٦.

٢. المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٦٠ - ١٦١.

٣. ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج ١، ق ١، ص ١٣.

٤. ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١١.

٥. قنسرين: يمتد حولها سهل شاسع من أخصب بقاع شمال الشام وهي مركز تجاري ومحطة للقوافل بين حلب ومختلف مدن الشام، وهي تقع جنوب مدينة حلب. راجع: ابن حوقل: صورة الأرض، ق ١، ص ١٧٨؛ الأنصاري: دمشق: نخبة الدهر، ص ١٩٣.

٦. ابن جبير: رحلة ابن جبير، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٢٠٣؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، الطبعة الأولى، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩١م، ص ٤١.

٧. العواصم: جمع عاصم وهو المانع، والعواصم حصون وموانع وتقع بين مدينتي حلب وإبطاكية فحاضرتها مدينة إبطاكية، وسماها الخليفة العباسي هارون الرشيد العواصم لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ١٦٥.

٨. إبطاكية: مدينة قديمة تقع علي الضفة الجنوبية لنهر العاصي، بينها وبين البحر المتوسط من جهة الغرب حوالي اثني عشر كيلو متر مربع، وتحيط بها الاستحكامات الطبيعية ممثلة في جبل اللكام شرقاً، ونهر العاصي غرباً. راجع: السبلاني: فتوح البلدان، ص ١٨٧ - ١٨٨؛ ابن الشحنة: الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تحقيق: يوسف سرركيس، مكتبة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٩م، ص ٢٢٠.

٩. فيليب حتي: بلاد سوريا، ج ١، ص ٤٦ - ٤٧؛ نجدت خمائل: الشام في صدر الإسلام، ص ٤٧ - ٤٨.

كما نجد بعض القبائل العربية استقرت في إقليم النقب لأنه يعترض سير الهجرات و الجيوش بين الشام و مصر، ونظراً لأهمية موقع تلك المنطقة تحكم سكان القبائل العربية في طرق القوافل التجارية^(١). من هذا يتبين أن الظواهر التضاريسية أثرت تأثيراً مباشراً على توزيع القبائل العربية الوافدة إلى بلاد الشام، وأسهمت في تكوين فكرهم، ونشاطهم الاقتصادي، فأحياناً تطوع القبائل العربية البيئة الجغرافية وفقاً لمصلحتهم وما يتلاءم مع ظروفهم ويتكيفوا معها، وأحياناً أخرى يتعاملوا مع البيئة الطبيعية بقوتها وحدتها. وصفوة القول فإن القبائل العربية في بلاد الشام توزعت في كل أنحاء ومارس العرب كل أنواع الأنشطة الاقتصادية، فمنهم من كان راعياً أو تاجراً أو دليل صحرَاء أو وسيطاً بحكم موقعهم وظروفهم الطبيعية.

- توزيع القبائل العربية في بلاد الشام (القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)
تعد شبه الجزيرة العربية^(٢) الموطن الأول للقبائل العربية، و كانوا ينقسمون قبل الإسلام إلى قسمين كبيرين، القسم الأول يعرف بالحضر وهم الذين سكنوا المدن و البلدات، و القسم الثاني يطلق عليه اسم الأعراب و سكنوا البراري و القفار^(٣). ولما انتشر الإسلام بين القبائل العربية تأثروا به وتغير الكثير من طبائعهم. والتفسير اللغوي لكلمة عرب هو " جيل من الناس، و النسبة إليهم عربي، وهم أهل الأمصار"^(٤) " وهو أيضاً "والعربي منسوب إلى العرب، وإن لم يكن بدوياً.....، ومن نزل بلاد الريف و استوطن المدن و القرى العربية و غيرها ممن ينتمي إلى العرب فهم عرب"^(٥). وقد اعتاد النسابون المسلمون تقسيم تاريخ القبائل العربية قبل الإسلام إلى قسمين بائدة وباقية، فالبائدة هم العرب الأول الذين بادوا ودرست آثارهم، وذهب عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم، وهم عاد وثمود وجرهم الأولي وغيرهم^(٦)، والباقية: هم الباقيون في القرون المتأخرة بعد ذلك و ينقسمون إلى عرب عاربة، وعرب مستعربة. فأما العاربة هم العرب الأولي الذين عرفوا اللغة العربية و تكلموا بها ابتداءً، فقبل لهم العاربة، إما بمعنى الراسخة في العروبية، وإما بمعنى الفاعلة للعروبية و المبتدعة لها لما كانوا أول من تكلم بها.

١. نعم شقير: تاريخ سنياء القديم و الحديث وجغرافيتها، دار الجبل، بيروت، ١٩٩١م، ص ٦٨ محمد السيد غلاب: الجغرافية البشرية و التوزيع لشبه جزيرة سنياء، بحث منشور ضمن موسوعة سنياء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٩.
٢. السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الحضارة الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٠م، ص ١٤٢.
٣. ابن العربي: تاريخ مختصر الدول، ط ٣، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٩٣.
٤. الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ج ١، ص ١٧٨.
٥. ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢٨٦٣ - ٢٨٦٤.
٦. ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص ٣٠٨.

كما أن العاربة هم عرب اليمن من ولد قحطان^(١). والمستعربة فهم الداخلون في العربية بعد العجم مأخوذاً من استفعل بمعنى الصيرورة، فاستعرب مثل استفعل، وهم ولد نبي الله إسماعيل عليه السلام^(٢). واتفق علماء الأنساب أيضاً علي أن العرب ترجع بأسرها إلي قحطان و عدنان، فيقال لسائر قحطان (اليمنيون)، أو عرب الجنوب ولسائر بني عدنان (المصريون والنزاريون)، وهم قيس أو عرب الشمال، فإذاً العرب قيسى ويمنى^(٣) وقد تميزت القبائل العربية بمجموعة من السمات لعل من أهمها أن القبيلة تنقسم إلي ستة أقسام هي القبيلة، مجموعة من الناس من بنى أب واحد^(٤)، ثم العمارة و تنقسم فيها أقسام القبيلة و مشتقة من الاعتماد و الاجتماع^(٥)، ثم البطون فهي دون العمار، و الأفخاذ هي أقسام البطون و تنقسم الأفخاذ إلي عشائر، فالعشيرة هي رهط الرجل، ثم الفصيلة وهي أهل بيت الرجل خاصة^(٦)، ولكن أعتاد علماء الأنساب أن يذكروا الأربعة الأقسام الأولى و هي القبيلة ثم البطن، ثم الفخذ، ثم العشيرة، و قليلا ما يذكروا العمارة و الفصيلة^(٧). وعن سبب هجرة القبائل العربية من شبة الجزيرة العربية إلي بلاد الشام نجد أن الدافع الاقتصادي هو المحرك لتلك الهجرات، فبينما كانت شبة الجزيرة العربية تعاني من القحط و الجفاف و ضيق العيش، كانت بلاد الشام تنعم بالرخاء و رغد العيش^(٨).

١. العمري: مسالك الأوصار في ممالك الأمصار - قبائل العرب في القرنين السابع و الثامن الهجريين، تحقيق: دوروتيا كرفولسكي، ط١، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٧١-٧٢؛ القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٢؛ محمد بيومي مهران: تاريخ العرب القديم، ط ١١، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤ م، ص ٢٩٣-٢٩٤.
٢. العمري: قبائل العرب، ص ٨٥؛ القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٢.
٣. ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ضبطه: أحمد أمين و آخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤م، ج ٣، ص ٣٣٧.
٤. الجوهري: الصحاح، ج ٥، ص ١٧٩٧؛ ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٣٥١٩.
٥. ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٣٥.
٦. الجوهري: الصحاح، ج ٢، ص ٧٤٧؛ محمد زهير شارقة: الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٨ م، ص ٨٣؛ ونذكر شعراً للعرب يؤكد ذلك التقسيم القبلي:
قبيلةٌ قبلها شعبٌ بعدهمُ عمارةٌ ثم بطنٌ بعده فخذٌ
وليس يؤوي الفتى إلا فصيلةً ولا سداً لسهم ماله فخذٌ
- راجع: عبد العظيم عبد السلام الفرجاني: قبائل العرب في مصر، دار غريب، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٤.
٧. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٤.
٨. الطبري: تاريخ الأمم و الملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، مجلد ١، ص ٣٦٠-٣٦١؛ محمد كرد علي: خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٩٢٥ م، ج ١، ص ٦٢؛ محمد عزب دسوقي: القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلي نهاية العصر الأموي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٢٧-٢٨.

كذلك أسهمت العلاقات التجارية بين شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام في هجرة القبائل واستقرارها بالشام، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ((إيلاف قريش ○ إيلافهم رحلة الشتاء و الصيف^(١))) وجاء في تفسير هاتين الآيتين الكريميتين أن المراد بذلك ما كانت تألفه العرب من الرحلة في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام في المتاجر^(٢)، وعلى سبيل المثال كانت قبيلة قريش تنزل بمدينة غزة^(٣)، ويسمونهم حمراء اليمن، ويألفون ضواحيها وخصبها حتى استوطنتها بطون كثيرة منها^(٤). كما يأتي العامل السياسي ليساهم في هجرة القبائل العربية إلى بلاد الشام، فعندما بدأت حركة الفتوحات الإسلامية استغرت السلطة الإسلامية جميع القبائل العربية من نجد و الحجاز للجهاد، فاتوا المدينة من كل ناحية^(٥)، وشاركوا في فتوحات بلاد الشام، لذا تضاعف نزول القبائل العربية خاصة القبائل اليمنية التي استوطنت جنوب بلاد الشام، ومن هذه القبائل غسان، ولخم، وجذام، وطى و بطون شتى من قضاة^(٦). كما وفدت العديد من القبائل القيسية إلى بلاد الشام ولكنها استقرت في شماله^(٧).

توزيع القبائل العربية في شمال بلاد الشام

وفدت القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الشام في هجرات متتابعة و استقرت في جميع مدنه، ونشير هنا للقبائل التي استقرت في القسم الشمالي من بلاد الشام وهي: بنو كلاب العربية إحدى بطون قبيلة ربيعة بن عامر بن صعصعة بن قيس أهم فروع قيس في شمال الشام^(٨)، واستقروا في أطراف حلب الشرقية وما حولها، وكان موطنهم الأصلي الذي نشأوا فيه المدينة المنورة من أرض الجزيرة العربية، وهاجر بعضهم إلى بلاد الشام مع حركة الفتوحات الإسلامية ثم زادت هجرتهم خلال العهد العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ - ٨٤٧ م)، ثم كانت هجرتهم الواسعة إلى شمال بلاد الشام في أواخر العقد الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(٩).

١. القرآن الكريم: سورة قريش، الآيات ٢-٣٠.
٢. أبو حيان: تفسير البحر المحیط، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٢م، ج٨، ص٥١٤-٥١٥؛ ابن كثير: تفسير القرآن، تقديم: محمود بن الجمل و آخرون، ط١، مكتبة الصفا، القاهرة، ٢٠٠٤م، مجلد ٤، ج٨، ص٣٠٥.
٣. غزة: تقع في الطرف الجنوبي لبلاد الشام، يحدها من الشمال مدينة الرملة ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء ومن الشرق مدينة الخليل ومن الغرب البحر المتوسط، وهي مدينة حيوية على الطرق التجارية. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢٠٢؛ دلال راشد عيسى: غزة ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة ماجستير لم تنشر كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٢-٩.
٤. محمد كرد علي: خطط الشام، ج١، ص٦٠؛ عارف العارف: تاريخ بير السبع وقبائلها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٢٢.
٥. ابن هشام: السيرة النبوية، تقديم: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة التكايا الأثرية، القاهرة، ١٩٩٠م، مجلد ٢، ج٤، ص١٦٥-١٦٧؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص١٣٢.
٦. الطبري: تاريخ الأمم و الملوك، مجلد ٣، ص٣٠٨؛ أحمد رمضان أحمد: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، الجهاز المركزي للكتب المدرسية و الجامعية، القاهرة، ١٩٧٧م، ص١٨٢.
٧. القلقشندي: نهاية الأرب، ص١٩؛ إبراهيم بوضون: تاريخ الشام في العصور الإسلامية، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص٨٠.
٨. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص١٤٨؛ العمري: قبائل العرب، ص١٤٣.
٩. ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت (د)، مجلد ١، ص٥٤٣؛ محمد مرسى الشيخ: الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص٢٤.

وتمكن أحد أفخاذ بنو كلاب، وهم المرادسيون^(١) في تأسيس إمارة عربية لهم بـحلب و الاستقلال بها في الفترة (٤١٥ - ٤٧٢ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٨٠ م)^(٢). ومن أبرز القبائل العربية التي استوطنت شمال بلاد الشام آل بَشَّار وديارهم الأولي الجزيرة العربية و الأحص^(٣) من كورها ولم ينسبهم علماء الأنساب إلى قبيلة لكنهم اتفقوا على أنهم من أحلاف آل فضل و جيرانهم^(٤) ولما قَدَمُوا إلى الشام سكنوا نواحي حلب. كذلك نجد بنو خالد وهم بطن من بني مخزوم من قريش من العدنانية^(٥) هاجروا إلى شمال الشام ويطلق عليهم عرب حمص، وديار بني خالد حماه^(٦) ونلاحظ أنهم من أهم بطون قيس ومن أحلاف آل فضل عرب الشام^(٧). كما هاجرت بعض القبائل اليمنية و استقرت في شمال بلاد الشام ومنها قبيلة قضاة و بطونها العديدة ومن أشهرها بنو كلب بن وبره بن ثعلبة بن حِمْيَر بن عمران بن الحافي بن قضاة القحطانية والنسبة إليهم كلبى^(٨)، وكانوا في الجاهلية و صدر الإسلام ينزلون منطقتي تبوك^(٩)، ودومة الجندل^(١٠) بإطراف الشام^(١١).

١. المرادسيون: موطنهم إقليم الحلة بالعراق ثم هاجروا منه شمال بلاد الشام و أقاموا في مدينة حلب في أوائل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي و سيطروا على مدينة حلب سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م، وتعد هجرة المرادسيون جزءاً من الحركة العامة لتنقل القبائل العربية. راجع: كليفور. أ. بوزورث: الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، دراسة في التاريخ و الأنساب، ترجمة: حسين علي اللبودي، مراجعة: سليمان إبراهيم العسكري، ط٢، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية، القاهرة، ١٩٩٥ م، ص ٩٢.
٢. محمد أحمد عبد المولي: بنو مرداس الكلابيون في حلب و شمال الشام و سياستهم الخارجية مع دولتي الفاطم و الروم (٤١٥ - ٤٧٢ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٨٠ م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥ م، ص ١١.
٣. يقصد بالأحص: الأرض الموضع قليل النبات، وهي كورة كبيرة مشهورة شرقي حلب، راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٤؛ ابن الشحنة: الدر المنتخب، ص ٥٩ - ٦١.
٤. العمري: قبائل العرب، ص ١٤٥ - ١٤٦؛ القلقشندي، صبح الاعشي، ج ٤، ص ٢٣٢.
٥. العمري: قبائل العرب، ص ١٤٣؛ القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٤٢.
٦. حماء: مدينة شامية قديمة تقع وسط منطقة خصبة في موقع متوسط على نهر العاصي بين مدينة حلب شمالاً و مدينة لدمشق جنوباً. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٠٠ - ٣٠١؛ يحيى شامي: موسوعة المدن العربية و الإسلامية، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ م، ص ٥٤ - ٥٥.
٧. الصيادي: الروض البسام في أشهر البطون القرشية بالشام، القاهرة، ١٨٩٢ م، ص ٩.
٨. السمعاتي: الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨ م، ج ٥، ص ٨٥ - ٨٦؛ القلقشندي: صبح الاعشي، ج ١، ص ٣١٦.
٩. تبوك: تقع بين وادي القرى و الشام وهي في الجنوب الشرقي من أيله و إلى الشمال الغربي من تيماء. راجع: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٨٦ - ٨٧؛ يحيى شامي: المدن الإسلامية، ص ٣٠.
١٠. دومة الجندل: من مدن الحجاز، تقع إلى الشمال الشرقي من تبوك، واشتهرت بكثرة نخيلها و زراعة الشعير وتعرف الآن باسم منطقة الجوف. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٨٧ - ٤٨٩؛ يحيى شامي: المدن الإسلامية، ص ٣٢.
١١. العمري: قبائل العرب، ص ٧٥؛ نجدت خمّاش: الشام في صدر الإسلام، ص ٥٩.

وفي العصر العباسي الأول رحلت كثير من أفخاذهم إلى شمال الشام، ونزلت عشائر عديدة منهم فيما حول مدينة حلب منهم بنو عليم بن جناب بن كلب وبرة^(١) بجنوب غرب مدينة حلب، حيث منطقة بني علم المنسوب إليهم، كذلك نجد فخذ بني عمار وهو من القبائل الكلبيية اليمنية الذين سكنوا شمال بلاد الشام وأسسوا هناك إمارة طرابلس العربية (٤٦٢-٥٠٢ هـ / ١٠٦٩ - ١١٠٩ م)^(٢) ونزل بعضهم في مدينتي تدمر^(٣)، وحمص^(٤). ويعد بنو منقذ من أهم أفخاذ بني كلب في شمال الشام علي الإطلاق، فهم من عذرة بن زيد اللات من كلب القحطانية، وكان لهم إقطاعات عديدة حول مدينة شيزر^(٥) وعلي مقربة منها منحهم إياها أمراء حلب المردياسيون^(٦)، كما انتشر بعض عشائر بني منقذ في المنطقة المحيطة بشيزر يرعون ويزرعون ويتصيدون، بل ظل بعضهم يقتني قطعاناً من الماشية ترعي في المنطقة المهجورة حولها وتهرع للاحتماء بالأسوار عندما تتعرض للخطر^(٧). كما استوطن بنو تنوخ وهم فخذ من قضاة شمال الشام حيث ينسبون إلي قضاة القحطانية^(٨)، وهاجروا إلى شمال الشام منذ عهود سابقة عن الإسلام^(٩)، وكانت ديارهم في صدر الإسلام المنطقة الواقعة بين حلب ومعرّة النعمان^(١٠)، واستقرت بعض عشائريهم و منهم بنو أبي حصين بتلك المنطقة^(١١).

١. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٦٩.

٢. ابن القلاسي: تاريخ دمشق، نشر: سهيل زكار، ط١، دار حسان، دمشق، ١٩٨٣ م، ص ١١٨؛ محمود محمد الحريري: الأوضاع

الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩ م، ص ١٩ - ٢٠.

٣. تدمر: واحة في وسط الصحراء السورية إلى الغرب من مدينة حمص بمقدار أربعة عشر كيلو متر وهي تشغل مركزاً تجارياً حيوياً بين آسيا ومواني البحر المتوسط وبين الغرب الأوربي، راجع: أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٨٨ - ٨٩؛ العمري: ممالك مصر والشام والحجاز، ص ١٢٢؛ بنيامين التيطلي: رحلة بنيامين التيطلي، ترجمة: عزرا حداد، ط١، المطبعة الشرقية بغداد، ١٩٤٥ م، ص ١١٨.

٤. محمد كرد علي: خطط الشام، ج ١، ص ٦٥ - ٦٦.

٥. شيزر: قلعة حصينة من جند حمص يمر نهر العاصي علي مقربة منها وتبعد شيزر عن حلب من جهة الجنوب بثلاثة وستين كيلو متر، وعن حماة من جهة الشمال الغربي بحوالي ٢٥ كيلو متر. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٨٣.

٦. أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، تحقيق ونشر: فلييب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د. ت، ص ٦؛ محمد مرمسي الشيش: الإمارات العربية، ص ٢٨١.

٧. محمد مرمسي الشيش: الإمارات العربية، ص ٣٩٤ - ٣٩٥.

٨. ابن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد، ج ٣، ص ٣٧٢؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، تعليق: محمود ديبوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧ م، ج ١، ص ١٥٧.

٩. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٥٣؛ السمعاتي: الأنساب، ج ١، ص ٤٨٤؛ العمري: قبائل العرب، ص ٧٦.

١٠. معرة النعمان: تقع علي سفح جبل الزاوية الشرقي علي الطريق بين حلب شمالاً وحماة جنوباً؛ راجع: ابن جببر: رحلة، ص ٢٠٦.

١١. محمد سليم الجندي: تاريخ معرة النعمان، ط٢، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤ م، ج ١، ص ٣١٠ - ٣١٢.

وفي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي استقرت الأغلبية من بني تنوخ في المنطقة الجبلية المواجهة للساحل الشامي، وأقاموا في المنطقة المحيطة بمدينة اللاذقية وتصدوا لغارات البيزنطيين البحرية علي سواحل الشام من تلك الجهة^(١)، كذلك نزحت بعض عشائر بني تنوخ إلي وسط بلاد الشام. ومن أفخاذ طى اليمينية في شمال الشام، آل فضل أحدي بطون آل ربيعة من طى القحطانية وهم بنو فضل بن ربيعة^(٢)، ومنازل آل فضل من حمص إلي قلعة جعبر^(٣) إلي الرحبة^(٤) وبسبب قوة آل فضل دخل في طاعتهم العديد من عشائر العرب في الشام عن طريق رابطة التحالف، منهم عشائر آل بشار وخالد حمص وغيرهم^(٥). ومن أفخاذ القحطانيين بشمال الشام أيضا بنو زبيد بن معن بن عمرو بن عنيز بن سلمان بن شعل بن عمرو بن الغوث بن طى وهم امتداد لعشائر زبيد وسط الشام، وتمييزاً لهم عن زبيد وسط الشام نعتهم المصادر باسم زبيد الأحلاف^(٦).

توزيع القبائل العربية وسط بلاد الشام

نجد بعض القبائل العربية نزلت و استقرت في وسط بلاد الشام، وتعد قبيلة طى من أهم القبائل التي سكنت هذه المنطقة، ومن أهم بطونها آل ربيعة، وينسب الربيعيون إلي ربيعة بن حازم بن علي بن مفرج بن دغفل بن جراح بن حرب بن سلمان بن طى^(٧) ، وكان له أربعة أولاد هم : فضل ومرا وثابت و دغفل ، ومنهم تفرعت عشائر آل ربيعة ، والمشهور من آل ربيعة ثلاثة أفخاذ : آل فضل^(٨) . وقد ذكرنا أنهم استقروا في القسم الشمالي من بلاد الشام وهذا لا يعني استقرارهم بالكامل هناك ، فقد وجدت بعض عشائرتهم في وسط الشام . ثم آل علي بن ربيعة فقد انتشروا و أقاموا بغوطة دمشق و مرجها^(٩) بين إخوانهم آل فضل وآل مرا.

١. محمد عزه دروزة: العرب والعروبة من القرن الثالث حتي القرن الرابع عشر الهجري، دار البقعة العربية، دمشق، ١٩٦٠ م، ج ٢، ص ٥.
٢. العمري: قبائل العرب، ص ١١٢ القلقشندي: نهاية الإرب، ص ١١٠.
٣. قلعة جعبر: تقع علي الضفة الشرقية لنهر الفرات بين مدينتي بالس و الرقة، وكانت تعرف قديما باسم دوسر. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٤٢ - ١٤٣.
٤. الرحبة: يضم الرام و سكنو الحام و فتح البلاء وتام مربوطة اسم علم لعدة مواضع و المقصود هنا رحبة مالك بن طوق علي الشاطئ الشرقي لنهر الفرات بين مدينتي بغداد و الرقة. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٣ - ٣٤.
٥. العمري: قبائل العرب، ص ١١٢ ابن خلدون: المعر وديوان المبدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨ م، ج ٥، ص ٩٣٦ - ٩٤٠.
٦. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٦٩ محمود السيد: تاريخ عرب الشام في العصر المملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧ م، ص ٥١.
٧. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ١٤٨٥ العمري: قبائل العرب، ص ٢٦ - ٢٧ القلقشندي: بلاد الجمان في التعرف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط ٢، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٢ م، ص ٧٣ - ٧٤.
٨. العمري: قبائل العرب، ص ١١٢ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٣٢٥.
٩. المرج: هي أرض مرتفعة ذات نبات ومرعي ترعي فيه الدواب، و الجمع مروج، و المقصود به هنا المنطقة الواقعة إلي الشرق من مدينة دمشق، راجع: الجوهري: الصحاح، مادة مرج، ج ١، ص ٣٤٠ - ٣٤١ ابن منظور: لسان العرب، مادة مرج، ج ٦، ص ٤١٦٨ - ٤١٦٩.

ومنتهاهم إلي تيماء^(١) بين الشام والحجاز^(٢)، أما آل مرا بن ربيعة فمنازلهم حوران وديارهم من بلاد الجيدور والجولان^(٣) إلي بصري^(٤) غرباً وشرقاً حتي قرب مكة المكرمة، ((و ربما طاب لهم البر وامتد بهم المرعي أوان خصب الشتاء، فتوسعوا في الأرض وأطالوا عدد الأيام و الليالي حتي تعود مكة وراء ظهورهم، ويصلوا مستقبلين بوجوههم الشام^(٥))). وقد أطاع بنو مرا عدد كبير من العشائر منهم: بنو صخر، وزبيد حوران، وبنو حارثة بن سنيس و غيرهم^(٦). ومن أفخاذ القبائل العربية التي استوطنت وسط بلاد الشام بنو زبيد، بغوطة دمشق ومرجها، ويرتفع نسبهم إلي بطون سعد العشيرة من كهلان بن سبأ من عرب طى القحطانية^(٧) وتوجد مجموعة من قبيلة زبيد العربية استقرت في حوران و صرخد^(٨) التابعين لدمشق^(٩)، كما وجدت عشيرة لقبيلة زبيد باللاذقية^(١٠). ونشير هنا إلي أن بنو بختر التنوخيين من أهم الأفخاذ اليمينية في وسط الشام، وينسبون إلي أبي العشائر بختر بن شرف الدولة علي بن الحسين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي عبد الله الذي ينتهي نسبه إلي تنوخ^(١١) وكانوا قد رحلوا إلي الشام. وفي سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠م استوطن البحتريون المنطقة الجبلية بصيدا^(١٢)

١. تيماء: مدينة حجازية تبعد عن المدينة المنورة بحوالي ثلاثمائة وخمسين كيلو متر، راجع ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٦٧؛

أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٨٦- ٨٧؛ يحيى شامي: المدن الإسلامية، ص ٣١.

٢. العمري: قبائل العرب، ص ١٣٧.

٣. الجيدور والجولان: الجيدور بفتح الجيم وسكون الباء و ضم الدال و سكون الواو وراء مهمل كورة من نواحي دمشق إلي الشمال من حوران، فيها قري كثيرة، ويقال إنها و الجولان كورة واحدة، أما الجولان فهي هضبة من الأرض إلي الجنوب الغربي من دمشق وإلي الجنوب الشرقي من لبنان وإلي الشمال الغربي من الأردن و الشمال الشرقي من فلسطين تشرف علي بحيرة طبرية، راجع: الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر، ص ١٩٩؛ مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، دار النهضة العربية ببيروت، د. ت. ج ١، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

٤. البصري: من أهم مدن حوران، تقع في سهل النفرة الخصب علي أطراف اللجا الجنوبية جنوب مدينة دمشق. راجع: ابن حوقل: صورة الأرض، ج ١، ص ١٨٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤١؛ مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية، ج ١، ص ٢٤٥.

٥. العمري: قبائل العرب، ص ١٣٩.

٦. العمري: قبائل العرب، ص ١٣٩.

٧. العمري: قبائل العرب، ص ٨٢؛ القلقشندي: فلاحات الجبلان، ص ٨٢.

٨. صرخد: قلعة حصينة بنيت فوق جبل العرب البركاني بالقرب من حوران يحدها من الشمال السويداء ومن الجنوب واحة الأزرق الأردنية ومن الشرق بادية الشام ومن الغرب بصري. راجع: الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر، ص ٢٠٠؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٢٥٢ - ٢٥٣.

٩. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٦٩؛ فايز بن أحمد أبوفردة: من تاريخ القبائل في فلسطين و الأردن، ط ١، دار المحبة، دمشق، ٢٠٠٥م، ص ٣٢١.

١٠. محمد كرد علي: خطط الشام، ج ١، ص ٦٥.

١١. صالح بن يحيى: تاريخ بيروت وأخبار الأمراء البحتريين من بني العرب، نشر: لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٦٩ - ٧٠.

١٢. صيدا: يحدها من الشمال مدينة بيروت ومن الجنوب مدينة صور. راجع: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤٣٩.

وإقليم الغرب ببيروت^(١) الذي يشمل المنحدرات الجبلية الغربية المحاذية لبيروت، الواقعة بينها وبين نهر الدامور^(٢)، وكان الانتشار الكبير لبني بختر في إقليم الغرب في القرن السادس الهجري وظلوا مشاركين في أحداث الشام السياسية حتى القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي^(٣). كما استقرت أفخاذ من قبيلة قضاة في وسط الشام من أهمها بني كلب فرغم استقرار بعضهم في شمال الشام إلى أن فريقياً منهم أقام في وسط الشام خاصة في منطقة صرخد المجاورة لدمشق، وظل دورهم السياسي والحضاري واضحاً في هذه المنطقة^(٤). ثم تنتقل لتوزيع القبائل القيسية في وسط الشام فنجد بظنا عبادة وخفاجة أهمها علي الإطلاق ومنازلهم بمرج دمشق، وبني عبادة بضم العين فخذ من عقيل من بني عامر بن صعصعة، وهم بنو عبادة بن عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة، وخفاجة فخذ من بني عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة، وهم بنو خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة القيسية^(٥) وظلت عبادة وخفاجة بمرج دمشق وكانت لهم بصماتهم الواضحة في تاريخ الشام.

توزيع القبائل العربية في جنوب الشام

رأينا أن بعض القبائل العربية هاجرت و استقرت في شمال ووسط بلاد الشام، كذلك استطاعت قبائل عربية أخرى أن تنزح إلى الجنوب وتقيم فيه ومن أشهرها قبيلة لخم العربية اليمنية، ويرجع نسبها إلى لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ^(٦)، وسكن بنو لخم الشام منذ قرون طويلة، وكانت منازلهم متفرقة بالإقليم أغلبها بين الرملة ومصر^(٧) وحول مدينة الخليل^(٨)، وصفورية^(٩)، والبحر الميت و نابلس^(١٠) و الداروم^(١١).

١. صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص ٦٩ - ١٧١ محمد عبد الحميد فرحات: العلاقات السياسية بين الصليبيين والبيرونيين في عصر الحروب الصليبية،

مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٤٧، ١٩٩٧ - ١٩٩٨ م، ص ٢٠٥.

٢. نهر الدامور: الدامور لفظة سريانية معناها العجب أو عربية معناها المغرب، وهو مجموعة من الأنهار الصغيرة، هي نهر الجابون، نهر الصفا، نبع القاع، نبع عين دار، و يبلغ طوله أربعين كيلومتر، و يصب في البحر المتوسط. راجع: بطولس يوسف الشدياق: أخبار الأعيان في جبل لبنان، تحقيق: سارون رعد، دار نظير، عود، بيروت، ١٩٩٥ م، ج ١، ص ١٨ - ١٩.

٣. الشدياق: أخبار الأعيان في جبل لبنان، ج ١، ص ٣٢ - ٣٣.

٤. الإطنكي: تاريخ الإطنكي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، مكتبة جروس بروس، طرابلس، ١٩٩٠ م، ج ٢، ص ٣٩٠ - ٣٩١ ابن الفلاس: تاريخ دمشق، ص ٣٦٦.

٥. العمري: قبائل العرب، ص ٩٢؛ القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٤٦.

٦. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٥.

٧. الهمداني: صفوة جزيرة العرب، تحقيق: محمد عبد الله النجدي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٣ م، ص ١٣٠ - ١٣١.

٨. العمري: قبائل العرب، ص ٨٤.

٩. صفورية: إحدى قري إقليم الجليل يحدّها من الشمال قرية زوما ومن الجنوب الشرقي مدينة الناصرة ومن الجنوب الغربي قرية عيلوط ومن الشرق قرية كفر كنا. راجع: باقرات الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٤.

١٠. بنيامين التتولي: رحلة، ص ٩٦ - ٩٧.

١١. الداروم: مدينة فلسطين تعرف حالياً بدير البلح تقع على ساحل البحر المتوسط بين غزة شمالاً و رفح جنوباً و تبعد عن البحر بمقدار خمسة و نصف كيلومتر. راجع المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١١٧٤ يحيى شامي: المدن الإسلامية، ص ٩٧.

كما كان للخم مواطن بوسط الشام في حوران و الجولان ^(١) و البثنية ونوي ^(٢). ولا شك أن قبيلة لخم العربية بموقعها علي الطريق التجاري بين الشام ومصر أدت دورا حيويا في تشكيل تاريخ و حضارة تلك المنطقة ^(٣). كذلك استقر بجنوب الشام قبيلة جذام اليمنية، وهم بنو جذام بن عدي بن عمرو..... بن سبأ، وتحدّر جميع أفراده من أبنية حرام و حشم ^(٤)، وكانت منازلهم في جنوب الشام بين مدين ^(٥) وتبوك، كما ينتشر بنو جذام في المنطقة من طبرية إلى اللجون ^(٦) وحول الكرك ^(٧)، وغزة حتي مشارف عكا ^(٨). ويعد بنو عقبة بن محزمة من أهم أفراد جذام، ومنازلهم من الكرك إلى بيرة الحجاز، وإلى الآن تنتشر بقايا عشائر بني عقبة علي الساحل الشرقي لخليج العقبة ^(٩). ومن أفراد جذام أيضا بنو صخر وديارهم فيما حول مدينة الكرك ومن عشائريهم الدعجونيون والصوتيون والعطويون، وهم أحلاف آل فضل عرب الشام ^(١٠) ومن بني صخر بجهات القدس الشريف عشيرتا بني فيض وبني شجاع ^(١١)، الذين ظلوا بنواحي المدينة المقدسة ^(١٢)، كما انتشرت بعض عشائريهم بنواحي مدينة غزة أيضا ^(١٣)، ومن عرب جذام أيضا العناترة عرب مدينة الخليل عليه السلام ^(١٤).

١. الهمذاني: صفة جزيرة العرب، ص ١٣٠ - ١٣١؛ الفلقشندي: صبح الأعشي، ج ١، ص ٣٣٥.
٢. البثنية ونوي: بلدتان تابعتان لمدينة دمشق تقعان إلى الجنوب الغربي منها. راجع: ابن حوقل: صورة الأرض، ج ١، ص ١٨٥؛ المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٦٠.
٣. المفريزي: البيان والإعراب عما يارض مصر من الأعراب، تحقيق: عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د.ت، ص ٢٦ - ٢٧.
٤. العمري: قبائل العرب، ص ٨٤ - ٨٥؛ الفلقشندي: نهاية الأرب، ص ٢٠٦.
٥. مدين: بفتح الميم وسكون الدال وفتح الباء ثم نون، مدينة مندثرة علي الساحل الشرقي للبحر الاحمر كانت مخاضة لمدينة تبوك. راجع: القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٢٦١؛ أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٨٧.
٦. ابن خلدون: العبر، ج ٦، ص ١١؛ محمد كرد علي: خطط الشام، ج ١، ص ٦٤. و اللجون: بلدة فلسطينية تقع علي بعد أربعين كيلو متر جنوب غرب مدينة طبرية. راجع: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٦٣.
٧. الكرك: بفتح الكاف والراء وكاف ساكنة، اسم مدينة و قلعة أردنية مشهورة في طرف الشام من نواحي البلقاء من ناحية جبل الشراة، وتقع علي سن جبل عال تحيط بها أودية كثيرة. راجع: الأنصاري: نخبة الدهر، ص ٢١٣.
٨. عكا: تقع علي ساحل البحر المتوسط في الطرف الشمالي لخليج عكا بين رأس الناقورة شمالا وجبل الكرمل جنوبا. راجع: المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٦٢ - ١٦٣.
٩. الفلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٦٤؛ سلطان طرخيم: جامع أنساب قبائل العرب، دار الثقافة، قطر، د.ت، ص ١٠٧.
١٠. العمري: قبائل العرب، ص ١٠٩؛ عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٩ م، ج ٢، ص ٦٣٤.
١١. العمري: قبائل العرب، ص ١٠٩.
١٢. علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ط ١، دار الفكر للدراسات و النشر، القاهرة، ١٩٨٦ م، ص ٧٤ - ٧٥.
١٣. سلطان طرخيم: جامع أنساب قبائل العرب، ص ٨٧.
١٤. الفلقشندي: قلائد الجمال، ص ٦٧.

يعد بنو مهدي أكثر بطون جذام انتشارا في جنوب الشام ، وهم من بني طريف من جذام وهم عشائر كثيرة و متشعبة ، منهم المشاطبة وأولاد بني عسكر و العناطرة وأولاد راشد و البترات واليعاكبة و المطارنة والعفير و الرويسم و السماعنة ، وهؤلاء جميعا كانت مساكنهم المنطقة المحيطة بالبلقاء ، وهناك العديد من عشائر بني مهدي حول مدينة الكرك منهم بني واصل^(١) ومن أفخاذ جذام أيضا بنوا زهير عرب الشوبك^(٢) ، وبنوا سعيد عرب صرخد و حوران ، وهم من سعد جذام ، وبنو عمرو^(٣) عرب الصلت^(٤) ، كما استوطن بنو عاملة جنوب الشام وهم من بني سبأ بطن من كهلان من القحطانية ، عاملة اسمه الحارث بن عفير بن عدي.... بن كهلان من سبأ ، وهو أخو لخم وجذام . نزح بنو عاملة إلى الشام منذ زمن قديم ونزلت بطون هذه القبيلة في جنوب البحر الميت ، واستقرت فيما بعد قرب دمشق في المنطقة المعروفة بجبال عاملة^(٥) وهي مشرفة على طبرية إلى البحر المتوسط ، وظلت تحمل اسمهم إلى الآن^(٦) .

كذلك سكنت بعض بطون قبيلة طى العربية جنوب بلاد الشام ومنهم ، بنو ثعلبة وهم ينسبون إلى ثعلبة بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طى و ثعلبة فخذان هما درما وزريق ، وتفرع عن هذين الفخذين العديد من العشائر ، فمن درما : سلامة و الأحمر وعمرو وشبل و الحنابلة و المراونة و الحباتيون ، ومن بني زريق الطليحيون و الصبيحيون و العليميون^(٧) ومضارب ثعلبة تتركز في غزة و الداروم مما يلي السواحل^(٨) ، كما جاور قبيلة ثعلبة في جنوب الشام بنو جرم وهم أيضا بطن من قبيلة طى العربية و استوطنوا غزة و الداروم مما يلي الساحل إلى الجبل و بلد الخليل عليه السلام^(٩) .

١. العمري: قبائل العرب ، ص ١٠٩ - ١١١؛ القلقشندي: نهاية الأرب ، ص ٤٢٧ .

٢. الشوبك: بفتح الشين وسكون الواو وفتح الباء وكاف في الآخر اسم أطلق على منطقة كثيفة الأشجار و البساتين بالقرب من وادي موسى ، يحدها من الشمال مدينة الكرك ومن الجنوب وادي موسى ومن الشرق جبل الأثريات ومن الغرب وادي عربة . راجع: أبو الفدا: تقويم البلدان ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ؛ العمري: ممالك مصر والشام ، ص ١٤١

٣. العمري: قبائل العرب ، ص ١٠٩ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٣٤

٤. الصلت: مدينة أردنية ، يحدها من الشمال مدينة عجلون ، ومن الشمال الغربي مدينة نابلس ، ومن الجنوب الشرقي مدينة عمان ومن الشرق مدينة الزرقاء ومن الغرب مدينة اللد. راجع: القلقشندي: صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ١٠٦ ؛ مسعود الخوند: موسوعة التاريخ ، ج ١٠ ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

٥. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٨٥ ؛ العمري: قبائل العرب ، ص ٨٤ ؛ القلقشندي: صبح الأعشى ، ج ١ ،

ص ٣٣٦

٦. محمد تقي الدين الفقيه: جبل عاملة في التاريخ ، ط ١ ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٨٦ م ، ص ٨٢

٧. العمري: قبائل العرب ، ص ١٠٦ ؛ القلقشندي: نهاية الأرب ، ج ١٩٦ ؛ المقرئ: البيان والإعراب ، ص ٤٠٣

٨. القلقشندي: نهاية الأرب ، ص ١١٨ ؛ صبح الأعشى ، ج ٤ ، ص ٢٠٩ .

٩. العمري: قبائل العرب ، ص ١٠٧ ؛ عارف العارف: تاريخ بير السبع ، ص ٢٣٢

وتفرعت عن جرم أفخاذ عديدة منها جذيمة وشبل و الأحامدة وبنو سهيل ، وغيرهم^(١) ، أما جزيمة فساكنهم بلاد غزة ، وبنو سهيل أرضهم الداروم^(٢) ، وجاورهم فيها قوم من زبيد عرفوا ببني فهيد ثم اختلطوا بهم^(٣) وفي بلدة بئر سبع بطون عديدة من جرم^(٤) . كذلك نجد فخذ سنابس وهو من بني طئ القحطانية في جنوب الشام وهم ينسبون إلي بني معاوية بن جروول بن ثعل بن عمرو بن القوث بن طئ ، وكان بنو سنابس خلال القرنين الرابع و الخامس الهجريين / القرنين العاشر و الحادي عشر الميلاديين ينزلون أماكن متفرقة من شمال فلسطين وجنوبها ، واستوطنوا منطقة الداروم خاصة^(٥) ، وكثروا هناك و اشتدت وطأتهم علي الولاة الفاطميين وصعب أمرهم ، لذلك عملت السلطة الفاطمية (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م) علي تشتيتهم ، فكان أن بعث الوزير الفاطمي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري^(٦) إليهم في عام ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م . يستدعيهم إلي مصر و أقطعهم إقليم البحيرة من أرضها.

ومن ضمن القبائل العربية التي استقرت في جنوب بلاد الشام بنو عوف وهم من بني جرم ، كانوا ينزلون في منطقة جبل عوف الذي عرف بهم منذ بداية العهد الفاطمي ، وتعددت بطون بني عوف هناك ، فمنهم العاجلة و العبادلة وبنو تمام و غيرهم^(٧) . ومن قبائل طئ الأخرى في المنطقة الجنوبية من الشام و المتداخلة مع الحدود الحجازية بنو أبي^(٨) عرب واحة الجفر^(٩) الذين امتدت عشائرهم من موطنهم الأصلي بالحجاز حتي جنوب بلاد الشام^(١٠).

١. القلقشندي: نهاية الأرب، ص ١٠؛ صبح الأعشى، ج ١، ص ٢١١

٢. العمري: قبائل العرب، ص ١٠٨

٣. المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٧

٤. العمري: قبائل العرب، ص ١٠٧ - ١٠٨؛ عارف العارف: تاريخ بئر السبع، ص ٢٢ - ٣٠

٥. ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٤٨٥؛ المقرئزي: البيان والإعراب، ص ٨

٦. ينسب الوزير اليازوري إلي بلدة يازور الفلسطينية التي ولد بها ، وظل يتدرج في المناصب حتي ولي قضاء مدينة الرملة و عمارة المسجد الأقصى ، لكنه ما لبث أن عزل من منصبه ، وعند ذلك توجه إلي مصر ، وظل يتقرب إلي رجال السياسة بها حتي تولي الوزارة الفاطمية عام ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م . راجع: المقرئزي: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ١٩٧ - ٢٠٠؛ مصطفى الدباع: بلادنا فلسطين، دار الهدي، كفر قرع، ١٩٩١ م، ج ٤، ق ٢، ص ٣٠٧ - ٣١١

٧. العمري: ممالك مصر و الشام، ص ١١٩؛ القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٨٥

٨. أسامة بن منقذ، الاعتبار، ص ١٢

٩. واحة بمنطقة شرق الأردن تقع إلي الشرق من واحة بايرو إلي الشمال الشرقي من معان . راجع: يوسف درويش غواتمة: التاريخ السياسي لشرقي الأردن، ص ٢٦، حاشية ٦ .

١٠. يوشع براور: الاستيطان الصليبي في فلسطين، ترجمة: عبد الحافظ البنا ط ١، عين للدراسات و البحوث الإنسانية، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٧٠ .

وفي منطقة وادي موسى^(١) نزلت عشيرة بني فheid المتفرعة عن فخذ زبيد أعراب وسط الشام^(٢)، وأيضاً بطون شتي من ربيعة^(٣)

ويتضح لنا أن القبائل العربية اليمنية استقرت و استوطنت القسم الأكبر من جنوب بلاد الشام وهذا لايعني اختفاء القبائل العربية القيسية فيه، بل سكنت بعضها ومنهم فخذ كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر نزار بن عدنان^(٤) وكانت كنانة تنزل بمنطقة عسقلان^(٥). وتخلص من توزيع القبائل العربية في بلاد الشام إلى مجموعة من النتائج من أهمها: أن القبائل العربية انتشرت في كل ربوع بلاد الشام فسكن بعضها المناطق الصحراوية، و بعضها الآخر استوطن المناطق الجبلية و الساحلية وفي المدن الكبرى، لذا تدخلت العشائر العربية وحدث بينها صراعات و نزاعات علي الموارد الاقتصادية. ونلاحظ أن بطون قبيلة طئ العربية تركزت في شمال بلاد الشام ووسطه وجنوبه حتي حدود العراق و جزيرة العرب ومصر، وأن قبيلتي لخم وجذام تركزتا في جنوب الشام حتي حدود مصر^(٦).

الدور السياسي للقبائل العربية في بلاد الشام(القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)

هاجرت العديد من القبائل العربية من شبه الجزيرة العربية و استقرت في بلاد الشام منذ خضوعها للدولة الإسلامية، وظلت هذه القبائل تؤدي دورا سياسيا في عهد الخلفاء الراشدين و الدولة الأموية و الدولة العباسية، إلا أن دورها السياسي برز بوضوح في بلاد الشام أثناء السيطرة الفاطمية علي تلك البلاد، فعندما استطاع الفاطميون فتح مصر سنة ٣٥٨هـ - ٩٦٩ م بدأت مرحلة جديدة من دور القبائل العربية السياسي في بلاد الشام . إذ تطلع قائد الجيش الفاطمي جوهر الصقلي^(٧)

١. وادي موسى ينسب إلى نبي الله موسى عليه السلام ، وهو يقع في منطقة شرق الأردن ويحده من الشمال مدينة الشوبك ومن الجنوب الشرقي واحة الجفر ومن الجنوب مدينة معان ومن الغرب وادي عربة . راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٣٤٦ مصطفى الدباغ : بلاتنا فلسطين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ص ٥٢٠

٢. أسامة بن منقذ : الاعتبار ، ص ٢٧ - ٢٨ : المغربي : البيان والإعراب ، ص ٧

3. Grousset, R , Histoire des croisades et du Royaume France de Jerusalem , 3 Toms , paris 1948 , Tome2 , PP.158,553

٤. الفلكلشندي: نهاية الأرب ، ص ٤٠٨ : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٣٥٠

٥. السمعايني: الأتسباب ، ج ٩٨ : مصطفى الدباغ : بلاتنا فلسطين ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، ص ١٦٦

٦. المغربي: البيان والإعراب ، ص ١١ : ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل (مصر و السودان) ، ط ٢ ، مكتبة النوبة ، الرياض ، ٢٠٠١ م ، ص ٤٥٦

٧. جوهر الصقلي : هو القائد أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي ، من المحتمل أنه ولد في جزيرة صقلية ، ثم انتقل إلى بلاد المغرب ودخل في خدمة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله سنة ٣٤١هـ ، وعرف عنه حسن الميامة ، ثم تولى الوزارة ٣٤٧هـ ، كما كان قائداً عسكرياً بارعاً إذ علي يديه ضم الفاطميون مصر ، وظل في مكانه سامية إلى أن تولى عام ٣٨١هـ . راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان : تحقيق : إسمان عباس ، دار الثقافة ، بيروت . د.ت. ، مجلد ١ ، ص ٣٧٥ - ٣٨٠ : أسامة حسن : جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله ، دار الأمل ، القاهرة ، ١٩٩٧ م ، ص ١٣ - ١٩

إلى ضم بلاد الشام لتأمين حدود مصر من تلك الجهة^(١)، وفي عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله^(٢) (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢١ م) تمكن الفاطميون من السيطرة الكاملة على بلاد الشام بدخول حلب في حوزتهم عام ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م^(٣). ولكن منذ عهد الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله (٤١١ - ٤٢٧ هـ / ١٠٢١ - ١٠٣٦ م)^(٤) انتشر الاضطراب في تلك البلاد بسبب التنافس على امتلاك مدنها بين التجمعات العربية والفاطمين هناك^(٥).

هذا التنافس أسهم بصورة مباشرة في إضعاف الوجود الفاطمي في بلاد الشام وظهرت عوامل التفكير و الإقسام، ففي عهد الخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤ م)^(٦)، خرجت الكثير من مدن الشام عن طاعة الفاطميين، كما استقلت مدن الشام الساحلية، ففي سنة ٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م، استقلت كل من مدينتي صور^(٧) و طرابلس^(٨).

١. محمد جمال الدين سرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ، دار الفكر العرب ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ص ١٨ - ١٩
٢. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مجلد ٥ ، ص ٢٩٢ : عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص ٢٤ - ٣٧
٣. ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٨٨ : المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ج ١ ، ص ٢٨٧ .
٤. الظاهر لإعزاز دين الله : هو أبو الحسن علي بن الحاكم بأمر الله أبو علي منصور ، تولى الخلافة وهو في السابعة عشرة من عمره عقب اختفاء والده الحاكم بأمر الله عام ٤١١ هـ / ١٠٢١ م تمتع مصر في عهده بالاستقرار ، أما بلاد الشام فقد منيت في عهده بالاضطرابات والفوضى وتوفي الظاهر في ريعان شبابه عام ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م . راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مجلد ٣ ، ص ٤٠٧ - ٤٠٨ : المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ١٢٤ - ١٨٢ .
٥. محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ١٩٩٠ م ، ص ٤١ - ٤٣ : صلاح الدين نوار : تاريخ الشام السياسي خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٨٩ م ص ١٨٧ - ١٩٨
٦. المستنصر بالله : هو أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله ، وفي بداية حكمه أقيمت له الخطبة بالشام والحجاز وإفريقية واليمن وبغداد ، ثم تعرضت مصر لأزمة اقتصادية بسبب انخفاض النيل ، وقد حكم ستون عاما . راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مجلد ٥ ، ص ٢٢٩ - ٢٣١ : المقرئ : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٤
٧. صور : تقع على لسان بري داخل البحر المتوسط تحيط بها المياه من ثلاث جهات عدا جهة الشرق ، يحدها من الشمال مدينة صيدا ومن الجنوب مدينة عكا . راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٤٣٣ : سر الختم عثمان : مدينة صور في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد (١٠٩٧ - ١٢٩١ م) ، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧١ م ، ص ١٥ .
٨. ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ج ٨ ، ص ٥٩١ : علي عبد السميع الجنزوري : الحروب الصليبية - المقدمات السياسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ م ، ص ١٤٩ .

كما خرجت الرملة من يد الفاطميين أيضا، فلم يبق لهم من سواحل الشام سوى عكا و صيدا و عسقلان^(١).

كما تميزت هذه الفترة بإزدياد نفوذ الوزراء الذين استولوا علي شئون الدولة وحجروا علي الخلفاء الفاطميين ، وتلقبوا بألقاب الملوك^(٢) ، ومنذ عهد الوزير بدر الجمالي (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م^(٣) ، بدأ عهد الوزراء العظام وتدخلوا في تولية الخلفاء و عزلهم^(٤) .

كما يجدر بنا هنا أن نشير إلي القوي السياسية الأخرى التي كان لها تأثير علي بلاد الشام خلال تلك الفترة ، و نقصد بها الدولة العباسية السنية ببغداد (١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٥٠ - ١٢٥٨ م) ، فمنذ عهد الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م^(٥) الذي استكثر من شراء الترك وأسند لهم الوظائف العليا في الدولة ، فبدأ يزداد نفوذهم مما أسهم في ضعف الدولة العباسية فألت إلي التدهور الشديد مع أواسط القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . فألقي هذا التدهور بظلاله علي نفوذ العباسيين السياسي في بلاد الشام ، وصاحب ذلك زيادة ضعف سلطان الخلفاء و تدهور مكانتهم^(٦) : ولم يتبق للخليفة العباسي سوي السلطة الشكلية في البلاد^(٧).

تلك الوضعية السياسية التي مرت بها بلاد الشام فتحت المجال لظهور قوي أخرى تؤدي دورا حيويا فيها، وهم السلاجقة الذين ينسبون إلي الأتراك الغز و زعيمهم الأول سلجوق بن دقاق، وفدوا من التركستان؟ إلي بلاد ما وراء النهر.

١. ابن الميسر : أخبار مصر ، نشر : هنري ماسيه ، المعهد الفرنسي ، القاهرة ، ١٩١٩ م ، ج ٢ ، ص ١٦ .
٢. ابن صاخذ القزويني : تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية المعروف بسير البعثة المقدسة ، مجلد ٣٢٢ ، نشر : عزيز سوريا ل عطية و آخرون ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، مجلد ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٧ .
٣. كان بدر الجمالي مملوكا أرمنيا لجمال الدولة بن عمار من بني كلب ، ولذا نسب إليه ، واخذ يتدرج في الرتب العليا إلي أن تقلد إمارة دمشق من قبل الخليفة المستنصر بالله الفاطمي مرتين ، الأولى عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٢ م ، والثانية ٤٥٨ هـ / ١٠٦٥ م ، ثم تقلد إمارة عكا ، وبينما هو بعكا يتطلع للحضور إلي مصر استدعاه المستنصر إلي مصر و استوزره عندما فسدت أحوالها أثناء الشدة العظمى ، والقي إليه مقاليد مملكة ، فصلحت أحوالها بقدومه . راجع : ابن الفلاس : تاريخ دمشق ، ص ١٥٤ : المقرئبي : الخطط ، ج ٢ ، ص ٣٢ .

٤. السيوطي : حسن المحاضرة في أخبار مصر و القاهرة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧ م ، ج ١ ، ص ٢٣ - ٢٤ .
٥. O'leary, D., short History of the fatimid , Khalifate, London, 1923, PP.210 - 211
٥. السيوطي : تاريخ الخلفاء : تحقيق : نطه عبد الرؤوف سعد ، مكتبة التوفيقية ، القاهرة ، (د . ت) ، ص ٢٩١ - ٢٩٣ : محمد الخضري : تاريخ الدولة العباسية ، تقديم : أحمد حطيط ، ط١ دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ١٩٩٤ م ، ص ١٥٤ - ١٥٦ .
٦. أبو الفدا : المختصر ، ج ١ ، ص ٤٢٩ - ٤٣٠ : محمد مرسى الشيخ : الجهاد المقدس ، ص ٣٩ .
٧. ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٦٠٩ - ٦١١ : سهيل زكار : مدخل إلي تاريخ الحروب الصليبية دراسة تتناول قيلم الإمبراطورية السلجوقية و أحوال الشام و الجزيرة عشية الغزو الصليبي ، ط٣ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٧٥ م ، ص ٩٧ - ١٢٠ .

وعاشوا فترة هناك اختلطوا خلالها بالمسلمين و اعتنقوا الإسلام و تعصبوا له كثيرا^(١).
ثم بدأوا في مد نفوذهم و توسيع رقعة أرضهم ، فسيطروا علي معظم بلاد فارس ، شمال العراق و أرمينيا^(٢) وآسيا الصغرى^(٣) وأعلنوا أنهم يعملون تحت طاعة الخليفة العباسي القائم بأمر الله (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣١ - ١٠٧٤)^(٤) ، ودخل زعيمهم طغرل بك (ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م)^(٥) بغداد وخطب لنفسه علي منابرها بعد الخليفة في شهر المحرم ٤٤٨ هـ / مارس ١٠٥٦ م ومن هنا بدأ السلاجقة يتوسعون و تمتد أملاكهم علي حساب الخلافتين العباسية السنية و الفاطمية الشيعية^(٦).

وبعد وفاة طغرل بك ، تولي الحكم ابن أخيه السلطان ألب أرسلان (٤٥٦ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م)^(٧) ، وفي عهده تزايدت قوة السلاجقة بانتصارهم علي البيزنطيين^(٨) في موقعة منكرد (٤٦٣ هـ / ١٠٧١ م) ثم توسعوا في بلاد الشام إذ تمكن ألب أرسلان في النزول إلي حلب ، وربطها بالتبعية له^(٩) ، كما أرسل أحد رجاله ويدعي أتمسز بن أوق^(١٠) الذي نجح في السيطرة علي الرملة وبيت المقدس وفلسطين.

١. الفارقي : تاريخ ميافارقين المعروف بتاريخ الفارقي ، حققه : بدوي عبد اللطيف عوض ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٤ م ، ص ١٥٧ - ١٦٠

٢. أرمينيا: تقع في آسيا الصغرى بين سلسلة جبال بنطس شمالا و سلسلة جبال طوروس جنوبا وتمتد بين نهر الفرات غربا وبين أنزيرجان و بحر قزوين شرقا. راجع : القزويني : آثار البلاد ، ص ٤٩٥ - ٤٩٦ ؛ القلقشندي : صبح ، ج ٨ ، ص ٢٩ - ٣٠

٣. الراوندي: راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي و آخرين ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون و الآداب ، القاهرة ، ١٩٦٠ م ، ص ١٤٥ - ١٥٨

٤. القائم بأمر الله : هو أبو جعفر عبد الله بن القادر ، وفي عهده اضطربت أحوال بغداد ، وخطب علي منابرها للخليفة الفاطمي المستنصر بالله بدلا منه ، لذا استعان بقوة السلاجقة أكثر من مرة لتثبيت دعائم حكمه ، ومن هنا أصبح للسلاجقة نفوذ علي الخلافة العباسية . راجع : السيوطي : تاريخ الخلافة ، ص ٣٦٠ - ٣٦٣ ؛ محمد الخضري : تاريخ الدولة العباسية ، ص ٢٦٧

٥. طغرل بك : هو محمد بن ميكايل بن سلجوق بن دقاق كان لقبه ركن الدين يمين أمير المؤمنين و اتخذ الوزراء و الحجاب ، وكان محبا للعلماء ، ونجح في القضاء علي ثورات الفاطميين في بغداد في عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ويد طغرل بك أول سلطان سلجوقي في بغداد . راجع : الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٥٩ - ١٧٨ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مجلد ٥ ، ص ٦٣ - ٦٨

٦. ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٤٧٣ - ٤٨٣ .

٧. ألب أرسلان: هو عضد الدولة أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن داود بن ميكايل بن سلجوق تميز بحسن السياسة و الكياسة و محبا للعمارة و التشييد فبنى الكثير من المدارس في بغداد ، كما كان محاربا ماهرا تطلع إلي ضم بلاد الشام . راجع : العباد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار : الفتح بن علي البنداري ، مطبعة الموسوعات ، القاهرة ، ١٩٠٠ م ، ص ٢٧ - ٤٥ .

٨. مسعود عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى ، ط ٥ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩٩ م ، ج ١ ، ص ٦٨ - ٨٠

٩. ابن العديم : بغية الطلب ، مجلد ٤ ، ص ١٩٧٣ ؛ محمد أحمد عبد المولي : بنو مرداس ، ص ١٥٨ ١٥٩ .

١٠. أتمسز بن أوق : هو أحد قادة السلطان ألب أرسلان ، وكان مقدم جيوش السلاجقة ببلاد الشام ، عرف الأقباس ، وكان متسلطا متطرفا ، اشتهر بسفك الدماء ، وتمكن من السيطرة علي معظم فلسطين ودمشق لصالح السلاجقة في الفترة ما

بين أعوام ٤٦٣ - ٤٦٨ هـ / ١٠٧١ - ١٠٧٥ م وقتل بمشق عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م راجع : ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١٨٢ - ١٨٣ ؛ أبو الفدا : المختصر ، ج ٢ ، ص ٦

بأكملها عدا أرسوف ^(١) و هاجم دمشق ^(٢) وفي عهد السلطان ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٧٣ - ١٠٩٢ م ^(٣)) ، استكمل أئمة التوسعات السلجوقية في وسط الشام و جنوبه بالاستيلاء علي دمشق سلما في شهر ذي القعدة ٤٦٨ هـ / يولية ١٠٧٦ م ، بعد حصار طويل ، ودعا فيها للخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وأصلح أحوالها ^(٤) ، وترتب علي تلك التوسعات السلجوقية أن تداخلت دولتهم مع تخوم الدولة الفاطمية في مصر . وفي عام ٤٨٠ هـ / ١٠٨٧ م وصل ملكشاه إلي الشام ، وكان وصوله بداية مرحلة جديدة في عهد الدولة السلجوقية ، وتاريخ بلاد الشام ، لانها عرفت نوعاً من الإقطاع السلجوقي ^(٥) ، الذي استحدثه ، ففي شمال الشام دخلت مدن (الرها ^(٦)) ، و انطاكية ، و حران ^(٧) و قلعة جعبر و حلب) في حكم ملكشاه ، و أقطعها لنوابه ^(٨) ، ودخلت في طاعته أيضا إمارة شيزر العربية و اللاذقية و أقامية ^(٩) وكفر طاب ^(١٠) وبالنسبة للوضع السياسي في جنوب الشام ، فقد عمل السلاجقة علي التوسع فيه بقيادة تتش (ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ^(١١)) .

١. أرسوف : تقع بين قيسارية شمالا و يافا جنوبا ، وهي بوابة يافا الشمالية ، وتحيط بها التلال ذات الأشجار الكثيفة ،

راجع : المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٧٤ ؛ الأنصاري : نخبة الدهر ، ص ٢١٣

٢. ميخائيل السرياني : تاريخ مار ميخائيل ، ترجمة : مار غريغوريوس صليبا شمعون ، ط ١ ، دار ماردين ، حلب ، ١٩٩٦ م ، ج ٣ ، ص ١٤٢ .

٣. العماد الأصفهاني : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ٤٦ - ٧٤ ؛ الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٩٧ - ٢٥٠

٤. العظمي : تاريخ العظمي ، نشر : كلود كاهن في المجلة الآسيوية J.A. ، باريس ، ١٩٣٨ م ، ص ٣٦٢

٥. إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٢ ، ٢٩

٦. الرها : مدينة في أرض الجزيرة الفراتية ، يحدها من الشمال الغربي مدينة سميناط ومن الجنوب مدينة الرقة ، وتوجد الآن في جنوب شرق دولة تركيا راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ١٠٦ ؛ علي عبد السميع الجنزوري : إمارة الرها الصليبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٣ - ٣٧

٧. حران : حصن منيع شمال الجزيرة الفراتية علي طريق الموصل والشام ، ويحدها من الشمال الرها ومن الجنوب نهر الفرات ، وهي الآن مدينة تركية علي الحدود السورية راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٢٣٦ ؛ يحيى شامي : موسوعة المدن ، ص ٣١٣

٨. ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٣٢٠

٩. أقامية يحدها من الشمال معرة النعمان ومن الجنوب مدينة حماه ، وتعرف الآن باسم قلعة المضيق راجع : الأنصاري : نخبة الدهر ، ص ٢٠٥

١٠. كفرطاب تقع في منتصف الطريق بين معرة النعمان شمالا وشيزر جنوبا راجع : القزويني : آثار البلاد ، ص ٢٤٨

١١. تتش : هو تاج الدولة أبو سعيد تتش بن عضد الدين أبي شجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق توجه إلي بلاد الشام و بسط نفوذ السلاجقة بها علي حساب الفاطميين راجع : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، مجلد ١ ، ص ٢٩٥

علي حساب الفاطميين ، ففي عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٩ م استولي علي دمشق و أعمال فلسطين ، وفي ٤٨٥ هـ / ١٠٩٢ م . تمكن بمساعدة نواب ملكشاه في حلب و الرها من الاستيلاء علي حمص و عرقة ^(١) و أقامية و انطربوس ^(٢) ، وغيرها من الحصون ^(٣) وهكذا سيطر السلاجقة علي معظم مدن بلاد الشام ، عدا بعض المدن الساحلية التي ظلت في أيدي نواب الفاطميين ، ولكن الهيمنة السلجوقية علي بلاد الشام سرعان ما تعرضت للضعف و التفكك ، وخاصة بعد وفاة السلطان ملكشاه حيث دخلت الدولة في صراع بين أبناء ملكشاه و معهم تاج الدولة تتش و انتهت تلك الحروب بمقتل تتش ^(٤) في إحدى معاركه مع السلطان بركياروق بن ملكشاه ٤٩٨ هـ - ١١٠٥ م ^(٥) . هذه الصراعات أثرت علي الوجود السلجوقي في بلاد الشام حيث انقسمت بلاد الشام بين فخر الملوك رضوان (٤٨٨ - ٥٠٧ هـ / ١٠٩٥ - ١١١٣ م) ^(٦) الذي كان من نصيبه إماره حلب و أعمالها ^(٧) ، وشمس الملوك دقاق (٤٨٨ - ٤٩٧ هـ / ١٠٩٥ - ١١٠٤ م) الذي قنع بإمارة دمشق ^(٨) ، وما لبث أن قام الصراع بين الأخويين ^(٩) فانتشرت الفوضى و الإضطرابات في بلاد الشام في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي .

ولاشك أن القبائل العربية التي استوطنت بلاد الشام كان لها دور سياسي في تشكيل تاريخ تلك المرحلة فتمكنت من إقامة دويلات مستقلة ، ومن أشهرها إمارة حلب المرداسية الكلابية في شهر جمادي الأول عام ٤١٦ هـ / يولية ١٠٢٥ م علي يد مؤسسها صالح بن مرداس الكلابي (٤١٦ - ٤٢٠ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٢٩ م) ^(١٠) .

١. عرقة: يحدها من الشمال قلعة صالفيثا ومن الجنوب حصن عكار راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٠٩
٢. أنطربوس مدينة ساحلية ، يحدها من الشمال باتياس السلحية ومن الجنوب طرابلس راجع : ابن حوقل : صورة ، ق١ ، ص ١٨٣ ؛ يحيى شامي ، موسوعة المدن ، ص ٦٢
٣. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١٨٢ - ١٨٧ ؛ ابن الفارقي : تاريخ ، ص ٢٢٣
٤. محمد راغب الطبايع الحلبي : أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ط١ ، المطبعة العلمية ، حلب ، ١٩٢٦ م ، ج١ ، ص ٣٧٢
٥. ولد السلطان ركن الدين أبو المظفر بركياروق بن ملكشاه في عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م ، وعهد إليه والده بولاية العهد ، فتولي بركياروق السلطنة السلجوقية وهو في الثالثة عشر من عمره ، ونظرا لصغر سنه طمع تتش في السلطنة ، لكنه ما لبث أن قتل راجع : الراوندي : راحة الصدور ، ص ٢١٤ - ٢٢٨
٦. رضوان بن تتش : هو أبو المظفر فخر الملوك رضوان ولد عام ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م ، ونشأ في مدينة دمشق وعهد أبيه تتش بتربيته لأحد أمراته ويعد جناح الدولة حسين وجعله أتباعا له . راجع : ابن العديم : بغية الطلب ، مجلد ٨ ، ص ٣٦٥٩ - ٣٦٦١ ؛ ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج٤ ، ص ١٦
٧. الفارقي : تاريخ ، ص ٢٤٥
٨. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ٢١٢ - ٢٣٤ ؛ ابن خلكان : وفیات الأعيان ، مجلد ١ ، ص ٢٩٦
٩. ابن العديم : نُبذة الحب ، ج١ ، ص ١٩٧ - ١٩٩ ؛ أحمد رمضان أحمد : المجتمع الإسلامي في بلاد الشام ، ص ٣٨ - ٣٩
١٠. ابن خلكان : وفیات الأعيان ، مجلد ٢ ، ص ٤٨٧ - ٤٨٨ ؛ محمد مرسي الشيوخ : الإمارات العربية في بلاد الشام ، ص ٩١ - ٩٣ ؛ محمد أحمد عبد المولي : بنو مرداس الكلابيون ، ص ١٨ - ٢٤

وظلت هذه الإمارة العربية تؤدي دورها السياسي إلى أن سقطت علي يد القائد العربي مسلم بن قريش العقيلي (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م^(١) عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م^(٢)).

كذلك استطاعت القبائل العربية أن تؤدي دورا سياسيا واضحا خلال تلك الفترة ودليل ذلك قيام إمارة بني عمار في طرابلس التي أسسها أمين الدولة أبو طالب بن عمار (٤٦٢ - ٤٦٤ هـ / ١٠٧٠ - ١٠٧٢ م^(٣) عام (٤٦٢ هـ / ١٠٧٠ م في طرابلس^(٤) ونجح حلفائه في المحافظة علي استقلال إمارتهم و دافعوا عنها ضد أطماع الفاطميين و الحمدانيين حتي سقوطها^(٥)، ونشير إلى قيام إمارة عربية أخرى في بلاد الشام ألا وهي إمارة بني منقذ في شيزر التي تأسست علي يد أبي الحسن علي بن منقذ^(٦) عام ٤٧٤ هـ / ١٠٨١ م^(٧) وتمكن من إقامة إمارة مستقلة بها وما حولها من مدن رغم ما أحاط بها من أخطار و مطامع وظلت هذه الإمارة تؤدي دورها حتي سقوطها في منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي^(٨).

١. يرجع نسب مسلم بن قريش العقيلي إلى بني عقيل من العدنانية، وهم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة صمكنا البحرين، ثم رحلوا إلى العراق واستولوا علي الكوفة و الموصل، وأسس حام الدولة المقلد إمارة بنو عقيل من الموصل عام ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م، ونجح مسلم بن قريش في توسيع هذه الإمارة فاستولي علي مدينة حلب عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م ثم ضعفت هذه الإمارة، وانتهت علي يد الأتراك السلجقة عام ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م. راجع: العمري: قبائل العرب، ص ١٥١؛ القلقشندي: نهاية الأرب، ص ٣٦٦.

٢. ابن القلاسي: تاريخ دمشق، ص ١٨٣؛ محمد احمد عبد المولي: بنو مرداس، ص ١٨٤ - ١٨٦.

٣. هو القاضي الأجل أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن محمد بن عمار بن الحسين بن أبي يوسف الطائي كان فقيها شيعيا تولى قضاء طرابلس من قبل الفاطميين، تميز ببعد النظر، استقل ضعف السيادة الفاطمية في طرابلس و استقل بها سنة ٤٦٢ هـ واتبع سياسة متوازنة مع القوي المحيطة به. راجع: المقرئ: اتعاظ الحنفيا، ج ٢، ٣٠٧ - ٣٠٨؛ محمد مرسى الشيوخ: الإمارات العربية، ص ١٩٨ - ٢٠١.

٤. ابن القلاسي: تاريخ دمشق، ص ١٦٢ - ١٦٤؛ السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام، ص ٦٦.

٥. ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥١، مجلد ٨، ق ١، ص ٢٧.

٦. أبو الحسن علي بن منقذ و كنيته سديد الملك أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنتاني الكلبي، سيطر والده علي كفر طاب عام ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م وتمكن من السيطرة علي الدور النفيسة بمدينة حماه وحلب، كما استخلص شيزر من البيزنطيين، وكان أدبيا و شاعرا و نحويا. راجع: ابن القلاسي: تاريخ دمشق، ص ١٧٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، مجلد ٣، ص ٤٠٩ - ٤١٠، مجلد ٥، ص ٢٦٩ - ٢٧٣.

٧. ميخائيل السرياتي: تاريخ مار، ج ٣، ص ١٤٧.

٨. ابن القلاسي: تاريخ دمشق، ص ١٥٥.

من هذا العرض يتبين أن القبائل العربية كان لها وزن سياسي له ثقله في بلاد الشام تجسد في تحريك الأمور السياسية ، فطلعوا دائما لاستقلال ، فقاموا بثورات مستغلين حالة الضعف التي تمر بها القوي السياسية المسيطرة علي بلاد الشام ، و تعاضد الدور السياسي للقبائل العربية في بلاد الشام في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي^(١) . فعندما فتح الفاطميون بلاد الشام و اتسعت أملاكهم و امتدت من بلاد الحجاز شرقا إلي المحيط الأطلسي غربا ، و من آسيا الصغرى شمالا إلي النوبة جنوبا^(٢) ، لذا سعي زعماء القبائل العربية في بلاد الشام للتحالف و التضامن مع أعداء الفاطميين فأحدث ذلك اضطرابا واضحا في تلك المنطقة وإيجاد مظاهر سلبية في مجالات الحياة الاقتصادية و العمرانية^(٣) ، تمثل في تخريب عمران المدن و أسواقها و إتلاف محاصيلها و نلتمس الدور السياسي للقبائل العربية في بلاد الشام بوضوح عندما تمكنوا من تكوين قوي عسكرية لأنفسهم و خاصة في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله^(٤) . و حاول الفاطميون إضعافهم بإحداث فرقة ووقية فيما بينهم^(٥) ، كي بضعفوا مركزهم بثبتيت شملهم من ناحية ، و يبذلوا لهم الأموال من ناحية أخرى بهدف ضمان تبعيتهم لهم^(٦) .

وننتج عن ذلك أن شهد جنوب الشام ثورات قام بها العرب علي الفاطميين مثل ثورات شيوخ عرب آل الجراح من طئ بزعماء القائد المفرج بن ذعفل بن الجراح الطائي، لذا أرسل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله إليه العديد من الحملات العسكرية حتي نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي^(٧) . ومع بواكير القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أعلن بنو جراح في جنوب الشام الثورة من جديد ، واستولوا عليه ، وهاجموا الحصون الساحلية التي كانت تعسكر فيها الحاميات الفاطمية^(٨) ، واستمروا في عصيانهم رغم وفاة قائدهم المفرج الطائي في شهر ذي القعدة عام ٤٠٣هـ / مايو ١٠١٣ م بمدينة اللد الفلسطينية^(٩) و تزعم ابنه حسان^(١٠) الثورة ضد الفاطميين بيد أنه هزم ، كذلك وفق الخليفة الحاكم بأمر الله في استقطاب الأمراء العرب من كلب و طئ و عشائرهم .

١. صلاح نوار : تاريخ الشام السياسي ، ص ١٤٢

٢. الأطلسي : تاريخ ، ج ١ ، ص ١٤٣

٣. صلاح نوار : تاريخ الشام السياسي ، ص ١٤٣

٤. ابن طاهر الأردني : أخبار الدول المنقطعة ، تحقيق : عصام مصطفى مزايمة و آخرون ، ط ١ ، مؤسسة حسادة ، الأردن ، ١٩٩٩ ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية و سقوطها في مصر ، ط ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٩٤ م ، ص ١١٣ - ١١٥

٥. المغربي : تعاضد الحنفاء ، ج ٢ ، ص ٨٧ - ٨٨

٦. جمال الدين مرور : النفوذ الفاطمي في بلاد الشام و العراق ، ص ٤٧

٧. عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ، ص ١٢٨ فاروق عمر ، محسن محمد : الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط ، دار الشروق للنشر و التوزيع ، عمان ، ١٩٩٩ م ، ص ١٠٨ .

٨. لوديا أندريانا سيمينوفا : تاريخ الدولة الفاطمية ، ترجمة : حسن بيومي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠١ م ، ص ٢١٥ - ٢١٦

٩. المغربي : تعاضد الحنفاء ، ج ٢ ، ص ٩٩

١٠. ابن العديم : بغية الطلب ، مجلد ٥ ، ص ٢٢٤١

وكلفهم بحماية الممتلكات الفاطمية بشمال الشام^(١) لذا عاد بنو جراح للطاعة حتى وفاة الخليفة الحاكم في عام ٤١١ هـ / ١٠٢١ م^(٢) فاستغل حسان بن المفرج تلك الوضعية السياسية وسعى للاستقلال بجنوب بلاد الشام^(٣) وإضعاف الوجود الفاطمي وكتلت جهوده بالنجاح في ذلك إلى حد بعيد إبان الربع الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. ونتج عن ذلك تغيير كبير في الوضع السياسي للقبائل العربية في بلاد الشام ، إذ لأول مرة يحدث اتحاد بين القيسيين و القحطانيين ، حينما تزعم حسان بن المفرج حلفا لعشائر عرب الشام عام ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م . ضم العصبيتين العربيتين ، ويرجع ذلك إلى أن بطون القبائل العربية أدركت أن مصالحها المشتركة تحتم عليه نسيان الخلافات القديمة^(٤) وشمل هذا التحالف العربي كلا من حسان بن المفرج أمير طى، و سنان بن عليان أمير بني كلب ، وصالح بن مرداس أمير بني كلاب ، حيث اتفقوا على الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي و تقسيم بلاد الشام بينهم ، فتكون حلب وما حولها لصالح بن مرداس ، ودمشق لسنان بن عليان الكلبى ، ومن الرملة إلى تخوم مصر لحسان بن مفرج^(٥) ، و بالفعل تم تنفيذ الاتفاقية بين أمراء قبائل العرب ، ففي عام ٤١٥ هـ — / ١٠٢٥ م استولى حسان بن المفرج على الرملة وأتى عليها حرقا ونهباً وأسرا^(٦) وقام صالح بن مرداس بفرض الحصار على حلب فتسلمها بالأمان في شهر ذي القعدة / يناير من العام نفسه^(٧) وأتبع استيلاءه على حلب بضم المدن المحيطة بها ، فاستولى على حمص وبعثبك^(٨) وصيدا وغيرهم^(٩) . أما سنان بن عليان فقد فرض الحصار على دمشق في العام التالي وجرت بين أهلها وبينه حروب عديدة أسفرت عن تخريب داريا وأعمالها . ثم أراد زعماء التحالف العربي غزو مصر مستغلين سوء أحوالها بسبب الأزمات الاقتصادية والصراعات على السلطة^(١٠) لذا اتخذ الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله إجراءات لمواجهة هذا التحدي ، فكتب خلال عام ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٢٦ م إلى قائده بالشام أنوشتكين الذبيري (ت ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م)^(١١) .

١. ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ١٩٠ .

٢. إسماعيل المنوفي : أخبار الأول فمن تصرف في مصر أربع الدول ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٨ م ، ص ١٢٢ .

٣. الأقطاني : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ - ٣٩٠ .

٤. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١١٨ .

٥. الأقطاني : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ - ٣٩١ .

٦. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١١٨ عليه الجزوري : الحروب الصليبية ، ص ١٤٨ .

٧. ابن كثير : البداية و النهاية في التاريخ ، تعليق : أحمد أبو ملجم و آخرون ، ط ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ج ١٢ ، ص ٢٩ .

٨. بعثبك : تقع بسهل البقاع و يحدها من الشرق و الغرب جبال لبنان ومن الشمال حصن عكار ومن الجنوب الغربي مدينة بيروت . راجع : ابن حوقل : صورة الأرض ، ق ١ ، ص ١٧٥ .

٩. ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٢٠٠ محمد مرسي الشيوخ : الإمارات العربية ، ص ١٠١ .

١٠. المقرئبي : ملحق الحلفاء ، ج ٢ ، ص ١٥٦ - ١٥٧ : صلاح نوار : تاريخ الشام ، ص ٢١٢ .

١١. هو أمير الجيوش شرف المعالي أبو منصور أنوشتكين الذبيري الفطلي ، ولد في بلاد ما وراء النهر و أسر وبيع في دمشق سنة ٤٠٠ هـ واشتراه القائد تزيير بن أونسيم الديلمي ، ثم حمل إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٢ هـ فأظهر كفاءة و مقدرة و أسند إليه الدفاع عن بلاد الشام . راجع : ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١١٦ -

يأمره بمحاربتهم ، فلم يتردد الدزبري وحشد قواته و توجه بهم لمحاربة التحالف العربي ، وعلي مقربة من مدينة الرملة دارت بين الفريقين معركة كبيرة انتهت بهزيمة العرب ، وانتزاع مدينة الرملة من آل الجراح ^(١) ، بيد أن القوات العربية أعادت تنظيم صفوفها وشنّت هجوماً خاطفاً علي الدزبري الذي فر من الرملة و احتمي بمدينة قيسارية ^(٢) ، لذا تشجعت القبائل العربية و اتجهت لغزو مصر ، وتمكنت بعض فرقهم من الوصول إلي العريش ^(٣) ، فحاول الخليفة الظاهر صدهم فأعد الجيوش ، وظل القتال بين الجانبين حتي عام ٤١٩ هـ / ١٠٢٨ م إذ في هذا العام توفي سنان بن عليان أمير عرب الكلبيين ، فدخل ابن أخيه رافع بن أبي الليل بن عليان في طاعة الخليفة الفاطمي ، فمنحه الإمرة علي الكلبيين ، و أعطاه إقطاعيات عمه . لذا خرج من التحالف العربي واتضم إلي الفاطميين ^(٤) . ذلك الموقف جعل الخليفة الفاطمي الظاهر أكثر تصميماً للقضاء علي التحالف العربي ، فأعد جيشاً جعل علي قيادته قائده أنوشكين الدزبري ، وانضم إليه القائد العربي رافع بن أبي الليل بقوات الكلبيين، و توجهوا لمحاربة حسان بن المفرج وحليفة صالح بن مرداس ، وعند الأقحوانة جنوب بحيرة طبرية دارت بين الطرفين معركة حامية الوطيس في شهر ربيع الأول ٤٢٠ هـ / إبريل ١٠٢٩ م ، انتهت بهزيمة التحالف العربي و مقتل صالح بن مرداس و أصغر أبنائه ^(٥) ، فتشتت الحشود العربية ، ففر حسان بن المفرج الذي لجأ إلي الإمبراطورية البيزنطية ^(٦) . وهكذا نتج عن هذه المعركة انقراض عقد التحالف العربي في منطقة الشام ، حيث طرد آل جراح من فلسطين و جنوب الشام ^(٧) ، ثم دخلت العلاقة بين القبائل العربية في بلاد الشام و الدولة الفاطمية في مصر مرحلة من الهدوء و الاستقرار خاصة بعد تولي بدر الجمالي إمارة دمشق لأول مرة عام ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م ^(٨)

١. علية الجنزوري : الحروب الصليبية ، ص ٨٦ - ٨٧.

٢. المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ١٥٣.

٣. صلاح نوار : تاريخ الشام السياسي ، ص ٢١٢.

٤. الأنطاكي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٤٠١ ؛ محمد كرد علي : خطط الشام ، ص ٢٥٠.

٥. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١١٨ - ١١٩ ؛ ابن كثير : البداية ، ج ١٢ ، ص ٢٩.

٦. المقرئزي : اتعاظ الحنفاء ، ج ٢ ، ص ١٨٠.

٧. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١٥٧ ؛ المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٧٤.

٨. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١٥٨ .

حيث تمكن بفضل موقعه من هناك الحد من نفوذ القبائل العربية و تدخلاتهم في شئون الممتلكات الفاطمية . ثم ما لبث أن رفع عرب الشام راية العصيان علي الفاطميين ولاسيما بعد أن عزل الأمير بدر الجمالي عن ولاية دمشق عام ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ، فتحالف عرب جنوب الشام من قيس و بقايا الكلبيين و الطائيين و استمرت ثورتهم عامين نشروا خلالها الفساد و القوضى و الاضطراب في تلك المنطقة انتقاما من تنكيل الفاطميين بأبائهم و أجدادهم ^(١) فبسط بنو سنابس سيطرتهم علي مدينة عسقلان و هددوا حدود مصر الشرقية ^(٢) ، عندئذ اضطر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله إلي انتداب الأمير بدر الجمالي لإقرار الأمور بجنوب الشام و القضاء علي تهديدات القبائل العربية وإعادة تثبيت الحكم الفاطمي ^(٣) ،لذا توجه الأمير بدر الجمالي عام ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦ م إلي مدينة عسقلان لمحاربة بني سنابس فتمكن من هزيمتهم و تدمير منازل بني طى بالأقحوانة ،وقتل بعض أمرائهم ^(٤) ، ثم استمر في محاربة القبائل العربية فهاجم ديار الكلبيين و الطائيين ، ثم وصل إلي مدينة دمشق في شهر شعبان من العام نفسه ^(٥) . بيد أن القبائل العربية سرعان ما تمردت و أعلنت الثورة عام ٤٥٩ هـ / ١٠٦٧ م وتمكنت من هزيمة بدر الجمالي، وسيطرت علي مدينة دمشق فرحل بدر الجمالي و استقر بمدينة عكا ^(٦) ، وتمكن أحد قادة العرب و هو القاضي أبو طالب بن عمار أحد أبناء قبيلة بني كلب الاستقلال بمدينة طرابلس عن الفاطميين في عام ٤٦٢ هـ / ١٠٦٩ - ١٠٧٠ م ^(٧) .

١. الأنطاكي : تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ - ٤٠١ .

٢. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

٣. المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

٤. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١٦٣ ؛ صلاح نوار : تاريخ الشام ، ص ٣٨٨ .

٥. المقرئزي : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

٦. ابن القلاسي : تاريخ دمشق ، ص ١٥٧ .

٧. السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام، ص ٦٦ .

وتمخض عن ذلك خروج معظم مدن فلسطين و الساحل الشامي عن الخلافة الفاطمية^(١). ومن هنا يتبين لنا أن القبائل العربية كان لها دور سياسي واضح في تاريخ جنوب ووسط بلاد الشام، وبالنسبة للوضع السياسي للقبائل العربية في شمال الشام نجد أنه قد حدث انشقاق كبير في قبيلة بني كلاب، ونتيجة لتفاقم الصراعات بين أمراء القبيلة و زعيمهم سابق بن محمود المرداس أمير حلب (٤٦٨ - ٤٧٢ هـ / ١٠٧٥ - ١٠٨٠ م) وتوجه علي أثرها بعض أمراء بني كلاب إلى بلاط السلطان السلجوقي ملكشاه " فشكوا له حالهم و سألوه أن يعينهم علي سابق بن محمود، فوعدهم و أقطعهم في الشام و أقطع الشام أخاه تتش^(٢) " الذي اشترك مع بني كلاب في محاصرة مدينة حلب^(٣)، ولكن تدخل أحد زعماء العرب مسلم بن قريش العقيلي أمير الموصل فأصلح ذات البين بين الكلابيين، و توحيد صفهم ضد الأتراك السلجقة، فاضطر تتش لرفع الحصار عن حلب^(٤) فدخلها القائد العربي مسلم بن قريش عام ٤٧٣ هـ / ١٠٨٠ م معلنا نهاية إمارة بني مرداس بحلب^(٥)، ورغم ذلك عادت الانقسامات لقبيلة بني كلاب فانضم وثاب بن محمود المرداس إلي الأمير تتش^(٦)، وفي حين انضمت بعض أفخاذ القبيلة إلي الأمير العربي مسلم بن قريش وعاونوه في حصار دمشق عام ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م، إلا أن محاولته لضمها باءت بالفشل^(٧) ثم قرر السلجقة ضم حلب وتمكنوا من ذلك في عام ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦ م^(٨)، ونتيجة لذلك انحصرت السيطرة العربية داخل إقليم الشام، وأصبحت معظم مدنه تحت السيطرة السلجوقية وبقياء النفوذ الفاطمي^(٩). ونلاحظ أن القبائل العربية لم تستطيع أن تكون لنفسها كيانا سياسياً مستقلاً في بلاد الشام وذلك راجع إلي العصبية القبلية بين هذه القبائل، مما أضعف من قوتها وجعلها تحارب بعضها البعض، كما أن الفاطميين عملوا علي زيادة شقة الخلاف بين القبائل العربية لتحقيق أهدافهم السياسية، كما أنهم لم يضعوا في بلاد الشام نظم إدارية ثابتة. ونشير هنا إلي المذاهب الدينية التي انتشرت بين عرب الشام، فنجد أن عرب شمال الشام اعتنقوا المذهب الشيعي، بينما كانت غالبية قبائلهم في الجنوب من السنة^(١٠).

١. ابن ميسر: أخبار مصر، ج ٢، ص ١٦.

٢. ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.

٣. محمد أحمد عبد المولي: بنو مرداس - ص ١٨٤ - ١٨٥.

٤. ابن القلاسي: تاريخ دمشق، ص ١٨١ - ١٨٢.

٥. زابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٣٠٢ - ٣٠٣؛ محمد أحمد عبد المولي: بنو مرداس - ص ١٨٦.

٦. محمد مرسي الشيع: الإمارات العربية، ص ٣٨٧.

٧. ابن القلاسي: تاريخ دمشق، ص ١٨٥.

٨. ابن العديم: زبدة الحلب، ج ١، ص ٣٢٤.

٩. علية الجنزوري: الحروب الصليبية، ص ١٥٠.

١٠. سهيل زكار: مدخل إلي تاريخ الحروب الصليبية، ص ٧٣ - ٧٥؛ كلود كاهن: الشرق و الغرب زمن الحروب الصليبية، ترجمة: أحمد الشيع، ط ١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥ م، ص ٢٨.

ورغم ذلك فإن عرب شمال الشام كانوا دائمي الثورة علي الفاطميين، بينما عرب جنوب الشام وهم سنة خضعوا للنفوذ الفاطمي في بعض الأحيان، واشتركوا معهم في حروب إخوانهم الشيعة بشمال الشام. وهكذا يتضح لنا دور القبائل العربية السياسي في بلاد الشام بعد أن تناولنا توزيعهم و المناطق التي استقروا فيها. وبمنظرة شاملة علي الواقع السياسي في الشام ثبت أنه مع حلول عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٧ م تفتت البلاد إلي وحدات سياسية تقاسمتها القوي الشيعة ممثلة في الخلافة الفاطمية التي سيطرت علي فلسطين و جنوب الشام ومدن الساحل، والقوي السنية ممثلة في سلاجقة الشام تحت السيادة الاسمية للخلافة العباسية الذين كانوا حتي وقت قريب يسيطرون علي وسط الشام و شماله، ودارت بينهم الحروب من أجل السيطرة علي هذا الإقليم، فضلا عن التجمعات العربية التي استغلت الحالة السينة من الضعف و الاضمحلال، وبدأت تظهر لهم دويلات وإمارات مستقلة من الناحية الفعلية.

خاتمة

يتضح من هذه الدراسة بعض الحقائق و النتائج التاريخية التي يمكن أن نجعلها في

الآتي:

-أسهمت الظروف الطبيعية لبلاد الشام الممتدة في: الجبال، و الهضاب، و الأودية، و السهول، و الصحاري علي تشكيل الشخصية المستقلة للقبائل العربية التي هاجرت و استقرت في تلك المناطق ومارسوا من خلالها دوراً سياسياً مؤثراً، ومراقبة الطرق التجارية بالإقليم ولاسيما أن مدارب هذه القبائل العربية انتشرت بين بلاد الشام و العراق و الحجاز ومصر.

-سعت العديد من القبائل العربية مثل بني كلاب وبني طي لتأكيد هويتها المستقلة عن الدول الإسلامية المسيطرة علي بلاد الشام، فأعلنت التمرد و العصيان أكثر من مرة مستغلة اضطراب الأحوال السياسية، وضعف الدول المسيطرة علي الحكم في الشام لتحقيق أغراضها الخاصة.

-أن القبائل العربية عندما هاجرت لبلاد الشام انتشرت في كل أرجائه، فنجد بعضها استوطن جنوب بلاد الشام، وجزءاً منها أقاموا في وسطه وشماله، واستغلت تلك القبائل مواطن إقامتها، وقامت بالعديد من الأنشطة الاقتصادية، فنجد العرب في بلاد الشام عملوا

بالزراعة والرعي وأعمال التجارة المتعددة كوسطاء تجاريين، و أدلاء وحماة للقوافل التجارية.

-أن الصراعات و النزاعات بين العرب كانت سبباً في قيام الكثير من الحروب فيما بينهم، و أثر ذلك بطبيعة الحال علي إضعاف وجودهم السياسي داخل بلاد الشام.

-أن الدولة الفاطمية عندما تمكنت من فتح مصر حرصت علي بسط نفوذها السياسي علي القبائل العربية المقيمة في بلاد الشام، وعملت علي جذبهم إليها سواء بالإغراءات المادية أو إرسال الحملات العسكرية.

-كان للقبائل العربية في بلاد الشام دور سياسي كبير، إذ تمكنت في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي من تأسيس إمارات عربية مستقلة مثل إمارة بني مرداس، وإمارة بني عمار، و إمارة بني منقذ، وكل هذه الإمارات تعد نتاج لمحاولة القبائل العربية منافسة القوي السنية الممثلة في الخلافة العباسية في بغداد، والقوي الشيعية ممثلة في الخلافة الفاطمية في مصر.

-أن القبائل العربية المستقلة في بلاد الشام لم توفق في توحيد صفها وتكوين كيان سياسي متحد فيما بينها، لذا كان من السهل علي الفاطميين محاربتهم و تشتيت شملهم مثل ما حدث مع بني آل جراح وغيرهم.

-يعد القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي قرن المجد السلجوقي الذين استطاعوا النزول إلي بلاد الشام، ومحاربة القوي الفاطمية بها، كذلك لإخضاع القبائل العربية لسيطرتهم، و القضاء علي إماراتهم العربية المستقلة، ووفق السلاجقة إلي حد كبير لكبح جماح القبائل العربية، وضمن خضوعها.

-نلاحظ أن عرب شمال الشام اعتنقوا المذهب الشيعي، ورغم ذلك كانوا علي عدااء مستمر مع الخلافة الفاطمية مما يؤكد أن المصالح السياسية تغلبت علي المعتقدات الدينية، بينما كان عرب جنوب الشام علي المذهب السني ومع ذلك كانوا أكثر خضوعاً وقليلي التمرد علي الخلافة الفاطمية.

-أن نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي شهد حالة من التشرذم و الضعف الذي مني به المشرق الإسلامي عامة وبلاد الشام و القبائل العربية خاصة، فقد كانت كل من الخلافتين العباسية و الفاطمية تعاني عوامل الضعف، فلم تكن أي منهما مهيئة لتوحيد العالم الإسلامي لمواجهة الأخطار الخارجية، فضلاً عن الخلاف المذهبي بينهما.

قائمة بمصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر العربية المطبوعة:

- ابن الأثير: (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري:
- الكامل في التاريخ، ١٣ جزء، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م.
- أسامة بن منقذ: (ت ٥٨٤ هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة أبو المظفر أسامة بن مرشد الكنتاني الشيرزي:
- كتاب الاعتبار، أو حياة أسامة بن منقذ، تحقيق ونشر: فيليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د. ت).
- الاصطخري: (ت في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي:
- المسالك و الممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٧ م.
- الأنصاري الدمشقي: (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٦ م) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي طالب المعروف بشيخ الربوة:
- نخبة الدهر في عجائب البر و البحر، بغداد، (د. ت).
- الأنطاكي: (ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٧ م) يحيى بن سعيد:
- تاريخ الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيا، تحقيق: عمرو عبد السلام تدمري، جزءان في مجلد، مكتبة جروس بروس، طرابلس، ١٩٩٠ م.
- ابن إياس: (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م) أبو البركات محمد بن أحمد:
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٣ أجزاء، بولاق، القاهرة، ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م.
- البكري: (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م) أبو عبيد الله بن عبد العزيز الأندلسي:
- معجم ما استعجم من أسماء البلاد و المواضع، تحقيق: مصطفى السقا، الطبعة الثالثة ٤ أجزاء في مجلدين، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- البلاذري: (ت ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) أبو العباس أحمد بن يحيى:

- فتوح البلدان، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، عمر أحمد عطوه، دار ابن خلدون، الإسكندرية، (د. ت.).
- ابن جبير: (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي:
- رحلة ابن جبير، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ابن الجوزي: (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي:
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، وآخرون، الطبعة الأولى، ١٨ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م.
- الجوهري: (ت ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م) إسماعيل بن حماد الفارابي:
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الثالثة، ٦ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤م.
- ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م) أبو محمد علي بن أحمد:
- جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م.
- ابن حوقل: (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧م) أبو القاسم محمد بن علي النصيبي:
- كتاب صورة الأرض، قسمان في مجلد واحد، الطبعة الثانية، ليدن، ١٩٣٨م.
- ابن خلدون: (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) أبو زيد عبد الرحمن بن محمد:
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ أجزاء، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦٨ م.
- ابن خلكان: (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر:
- وفيات الأعيان و إنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، ٨ مجلدات، دار الثقافة، بيروت (د. ت.).
- الذهبي: (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨م) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين:

- دول الإسلام في التاريخ، الطبعة الأولى، جزءان في مجلد واحد، دار المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣٣٧هـ — / ١٩١٨ م .
- الرواندي: (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) أبو بكر نجم الدين محمد بن علي بن سليمان
- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة: إبراهيم أمين الشواربي و آخرون، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، القاهرة، ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .
- سبط ابن الجوزي: (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م) أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزواغلي:
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الطبعة الأولى، المجلد ٨ قسمان، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٩٥١ م .
- السمعاني: (ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي:
- الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله البارودي، الطبعة الأولى، ٥ أجزاء، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٨ هـ — / ١٩٨٨ م .
- السيوطي: (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر:
- تاريخ الخلفاء، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، ياسر صلاح عزب، المكتبة التوفيقية، القاهرة (د. ت).
- الطبري: (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير:
- تاريخ الأمم والملوك، ٦ مجلدات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ — / ١٩٩٧ م .
- ابن عبد ربه الأندلسي: (ت ٣٢٧ هـ / ٩٣٨ م) أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب القرطبي:
- العقد الفريد، ضبطه: أحمد أمين وآخرون، ٧ أجزاء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٤ م .
- ابن العبري: (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) غريغوريوس الملطي أبو الفرج بن أهرون:
- تاريخ مختصر الدول، الطبعة الثالثة، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢ م .

- ابن العديم: (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة:

• زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ط ١، جزءان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م.

• بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، ١٢ مجلد، دار الفكر، بيروت، (د.ت.).

- ابن عساكر: (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٥ م) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي:

• تاريخ دمشق الكبير اختصار ابن منظور (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، تحقيق: روحية النحاس و آخرون، ط ١، ٢٨ جزء في ١٤ مجلد، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م.

- العماد الأصفهاني: (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م) عماد الدين محمد بن محمد بن حامد: تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار: الفتح بن علي البنداري، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ١٣١٨ هـ / ١٩٠٠ م.

- ابن العماد الحنبلي: (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م) أبو الفلاح عبد الحى علي بن محمد:

• شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الطبعة الثانية، ٨ أجزاء، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩ م.

- العمري: (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) شهاب الدين أبو العباس بن فضل الله :

• مسالك الأبصار في ممالك الأمصار: قبائل العرب في القرنين السابع و الثامن

• الهجريين، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، الطبعة الأولى، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م.

• مسالك الأبصار في ممالك الأمصار — ممالك مصر والشام و الحجاز و اليمن، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، (د.ت.).

- الفارقي: (ت بعد عام ٥٧٧ هـ / ١١٧٩ م) أحمد بن يوسف بن علي بن الأرق:

- تاريخ ميفارقين المعروف بتاريخ الفارقي، حققه: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤ م.
- أبو الفدا: (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن شاهنشاه بن أيوب الملك المؤيد صاحب حماه:
- تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م.
- المختصر في أخبار البشر، تعليق: محمود ديوب، الطبعة الأولى، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ابن الفرات: (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤ م) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم:
- تاريخ ابن الفرات المعروف باسم تاريخ الدول و الملوك، المجلد السابع، تحقيق: قسطنطين رزيق، بيروت، ١٩٤٢م.
- القزويني: (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣ م) أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود:
- آثار البلاد و أخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د.ت.).
- ابن القلاسي: (ت ٥٥٥هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد التميمي:
- تاريخ دمشق، نشر: سهيل زكار، الطبعة الأولى، دار حسان، دمشق، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- القلقشندي: (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد عبد الله:
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ جزء، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م.
- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- قلائد الجمان في التعرف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الإبياري، الطبعة الثانية، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ابن كثير: (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٣ م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي:

- البداية و النهاية في التاريخ، المعروف بتاريخ ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو ملح و آخرون، الطبعة الأولى، ١٤ جزء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ابن مفرج الإسكندراني: (عاش في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) ابن صاعد القلزمي:
- تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، والمعروف بسير البيعة المقدسة، مج ٢ ج ٣، قام علي نشره: عزيز سوريال عطية و آخرون، القاهرة، ١٩٥٩م.
- المقدسي: (عاش في القرن الرابع الهجري / القرن العاشر الميلادي) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر المعروف بالبشاري:
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، مطبعة بريل، لندن، ١٩٠٩م.
- المقرئزي: (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢ م) تقي الدين أحمد بن علي:
- اتعاط الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيبان، محمد حلمي محمد أحمد، الطبعة الثانية، ٣ أجزاء، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- البيان و الإعراب عما بأرض مصر من الأعراب مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، تحقيق و تأليف: عبد المجيد عابدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د. ت.).
- ابن منظور: (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م) جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم الأنصاري:
- لسان العرب، ٦ مجلدات، تحقيق: عبد الله الكبير، دار المعارف، الإسكندرية، (د. ت.).
- ابن ميسر: (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨ م) محمد بن علي بن يوسف بن حلب راغب:
- أخبار مصر، نشر: هنري مایسه، جزآن، مطبعة المعهد الفرنسي، القاهرة، ١٩١٩م.
- الهمذاني: (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥ م) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمذاني:

• صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن عبد الله النجدي، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٥٣م.

- ياقوت الحموي: (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي:

• معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٥م.

ثانيا: المراجع العربية و المعربة:

- إبراهيم بيضون (دكتور):

تاريخ الشام في العصور الإسلامية، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٧م.

- أحمد رمضان أحمد (دكتور):

- المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، الجهاز المركزي للكتب المدرسية و الجامعية و الوسائل التعليمية، القاهرة، ١٩٧٧م.

- شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، الجهاز المركزي، للكتب المدرسية و الجامعية و الوسائل التعليمية، القاهرة، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

- أحمد وصفي زكريا:

- عشائر الشام، الطبعة الثانية، جزءان في مجلد، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

- السيد عبد العزيز سالم (دكتور):

- تاريخ مدينة صيدا في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م.

- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

- دلال راشد عيسى:

- غزة ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، ١٠٩٥ - ١٢٩١ م / ٤٨٨ - ٦٩٠هـ رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):
 - الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسلامي في العصور الوسطى، الطبعة الخامسة، جزآن، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩ م.
- سهيل زكار (دكتور):
 - مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، دراسة تتناول قيام الإمبراطورية السلجوقية وأحوال الشام و الجزيرة عشية الغزو الصليبي، الطبعة الثالثة، دار الفكر، دمشق، ١٩٧٥ م.
- صلاح الدين نوار (دكتور):
 - تاريخ الشام السياسي خلال القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، رسالة دكتوراه لم تنشر بعد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤٠١هـ / ١٩٨٩ م.
 - العدوان الصليبي على العالم الإسلامي (٤٩٠ - ٥١٥ هـ / ١٠٩٧ - ١١٢١ م الطبعة الأولى، دار الدعوة للطبع و النشر و التوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٣ م.
- عارف باشا العارف:
 - تاريخ بير السبع و قبائلها، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩ م.
- عبد المنعم ماجد (دكتور):
 - ظهور الخلافة الفاطمية و سقوطها في مصر، الطبعة الرابعة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤ م.
- علي أحمد السيد (دكتور):
 - إمارة الجليل تحت حكم اللاتين، ودورها السياسي في الصراع الصليبي الإسلامي في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي، ١٠٩٩ - ١١٥٤ م / ٤٩٢ - ٥٤٩ هـ، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٨ م.
 - الخليل و الحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية، ١٠٩٩ - ١١٨٧ م / ٤٩٢ - ٥٨٣ هـ، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- عليّة عبد السميع الجنزوري (دكتور):
 - الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩ م.

- فاز بن أحمد أبو فردة:
- من تاريخ القبائل في فلسطين و الأردن، الطبعة الأولى، دار المحبة، دمشق، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥ م.
- فيليب حتي (دكتور):
- تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة: كمال اليازجي، الطبعة الثانية، جزءان، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م.
- كميل عزيز سليمان (دكتور):
- اللاذقية و دورها السياسي في الصراع الصليبي الإسلامي (١٠٩٥ - ١٢٩١ م / ٤٨٨ - ٦٩٠ هـ)، رسالة ماجستير لم تنشر بعد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٥ م.
- ليديا اندريفنا سيمينوفا:
- تاريخ الدولة الفاطمية، ترجمة: حسن بيومي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١ م.
- محمد أحمد عبد المولي (دكتور):
- بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام و سياستهم الخارجية مع دولتي الفواطم و الروم (٤١٥ - ٤٧٢ هـ / ١٠٢٥ - ١٠٨٠ م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥ م.
- محمد جمال الدين سرور (دكتور):
- النفوذ الفاطمي في بلاد الشام و العراق في القرنين الرابع و الخامس بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- محمد خميس الزوكة (دكتور):
- جغرافية العالم الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٦ م.
- محمد سليم الجندي:
- تاريخ معرة النعمان، الطبعة الثانية، ٣ أجزاء، تحقيق: عمر رضا كحالة، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٤ م.

- محمد محمد عبد الحميد فرحات (دكتور):
 - بيروت و دورها في الصراع الصليبي الإسلامي (١١١٠ - ١٢٩١ م / ٥٠٣ - ٦٩٠ هـ) رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م.
- محمد عزب دسوقي (دكتور):
 - القبائل العربية في بلاد الشام منذ ظهور الإسلام إلى نهاية العصر الأموي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨ م.
- محمد عزة دروزة:
 - العرب و العروبة من القرن الثالث حتي القرن الرابع عشر الهجري، ٣ أجزاء، دار اليقظة، دمشق، ١٩٦٠ م.
- محمد كرد علي (دكتور):
 - خطط الشام، ٦ أجزاء، المطبعة الحديثة، دمشق، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥ م.
- محمد مرسي الشيخ (دكتور):
 - الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتي سقوط الرها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠ م.
- الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر و الثاني عشر الميلاديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٠ م.
- محمود شكري الألوسي:
 - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ضبطه: محمد بهجة الأثري، الطبعة الثانية، ٣ أجزاء، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥ م.
- ميخائيل السرياني:
 - تاريخ مار ميخائيل الكبير، ج ٣، ترجمة: مار غريغوريوس صليبا شمعون، تقديم: مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم، الطبعة الأولى، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦ م.
- مسعود الخواند:

- الموسوعة التاريخية الجغرافية، ١٥ جزء، دار رواد النهضة العربية، بيروت،

(د.ت.).

- مصطفى عبد العزيز العسقلاني (دكتور):

- عسقلان و دورها في الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة ماجستير غير

منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢ م.

- نجت خماش (دكتور):

- الشام في صدر الإسلام من الفتح العربي حتي سقوط خلافة بني أمية دراسة

للأوضاع الاجتماعية و الإدارية، ط١، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧ م.

- يحيى شامي:

- موسوعة المدن العربية و الإسلامية، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣ م.

ثالثاً: المراجع الثانوية الأجنبية:

• Grousset, R , Histoire des croisades et du Royaume France de Jerusalem, 3 Tomes , paris 1948 .

. O'Leary, D., short History of the Fatimid Khalifate, London, 1923.